

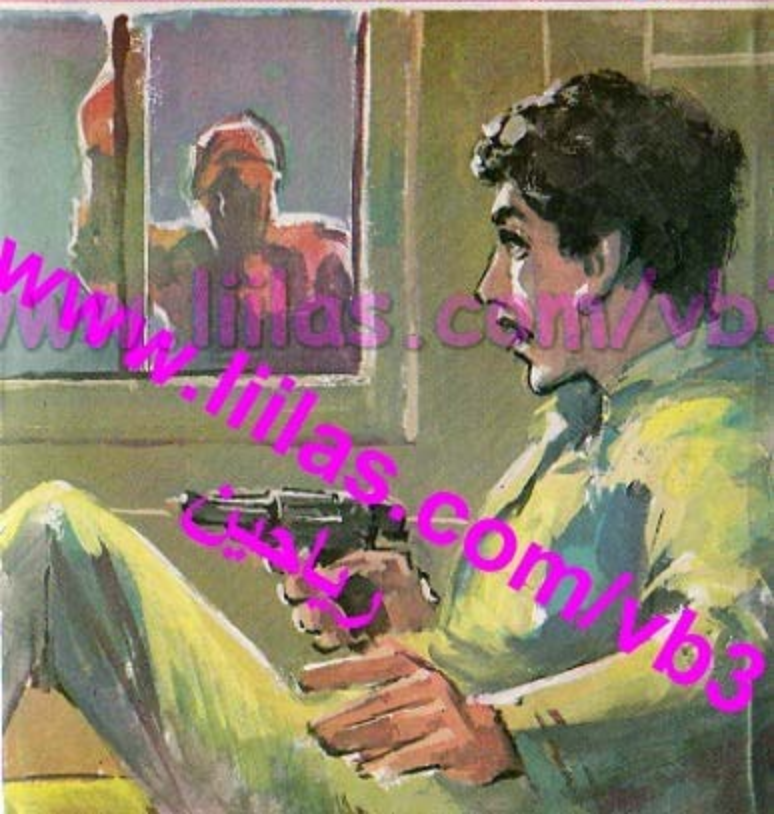
روايات مصرية للجيب

قضية لعبة الثعالب

سلسلة القار يولية مشيرة للسياح



٣٩



مغامرة * آرات

سلسلة الفار يولية مشيرة للكتاب
ننظم العقل وتسمى الفكر والذكاء ..



المؤلف



د. نيل فاروق

قضية لعبة التعالب

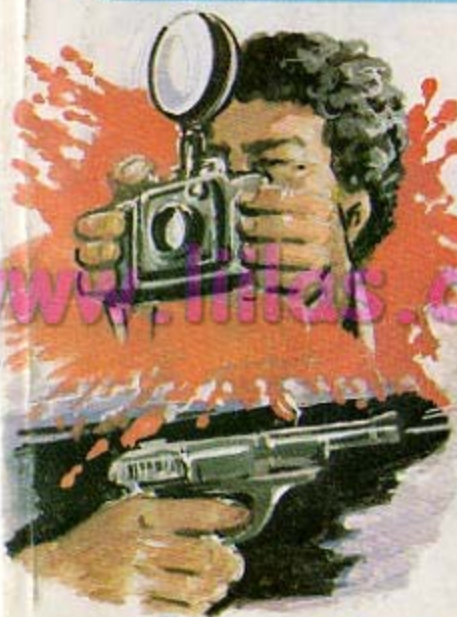
• ربح المصريون الجزء
الأول من اللعبة ، وانقلوا
إلى الجزء الثاني ، حيث
يرتفع الخطر ، ويصبح
الموت شئنا لأدنى خطأ ..
وأدى فشل ..

• ثرى .. كيف يواجهه
(عصام) هذا الخطر
الجديد ، في لعبة
التعالب ؟

• اقرأ التفاصيل المثيرة ،
وقاتل مع (عادل)
(عصام) ، من أجل
(مصر) .

العدد القادم

(قضية قلب الجحيم)



الناشر
المؤسسة العربية للدراسات
التيق والتاريخ
100 شارع النخلة - القاهرة - 11562

الكتاب

وعايات

في سائر الدول العربية

18

٢ × ع

سلسلة ألغاز بوليسية ، تجمع ما بين
الغموض والإثارة والحركة ،
وتسبح بنا - فى كل مرة - فى عالم
جديد ، يسعى كل أبطاله - على
اختلاف ألوانهم - إلى مكافحة
الجريمة ، والسعى إلى تحقيق
العدالة ، وجميعهم يحملون شعاراً
واحداً.. شعار (٢ × ع)

د. نبيل فاروق

١ - ليل (باريس) ..

هطلت الأمطار في شدة ، على العاصمة الفرنسية (باريس) ، في تلك الليلة ، التي قضاه (عصام كامل) مُسهذاً في فراشه ، في ذلك الفندق الباريسي الفاخر ، وأفكاره تسبح بعيداً ، وتسترجع كل ما حدث ، منذ بدأت تلك المغامرة العنيفة ، التي تخالف كل ما مرَّ به في حياته من قبل .

لقد بدأ الأمر كله بجائزة ..
جائزة أعلنت عنها جريدة (الفيجارو) الفرنسية ، لأفضل تحقيق صحفي بوليسي ، في دول العالم الثالث ..
وفاز بها (عصام) ..

ربحها عن تحقيقاته ، التي تحمل توقيع (ع × ٢) ..
وكانت سعادة (عصام) بالفوز غامرة ، حتى أنه قد انطلق إلى (باريس) ، ليتسلم جائزته ، وهو يطير فرحاً ، حتى لقد كاد يسبق الطائرة ، التي تقله إلى هناك ..
وهناك .. في (باريس) ، كان هناك رجلان ، يخططان للربح من وراء ذلك ، في اتجاه مربب ..

كانا يسعيان لتجديد (عصام) لحسابهما ، للعمل ضد دولته ووطنه ، كجاسوس ..

وبدأ (ريمون) و (رولان) حُطَّتْهُمَا ، لجذب (عصام) إليهما ، اعتناذاً على وكالة أنباء معروفة ، يملكها (رولان روجيه) ..

وبأساليب ثعبانية معقّدة ، وبروح الذئاب ، ودهاء الثعالب ، سارت حُطَّةُ الرجلين ، كما حُطَّتْهَا تَمَامًا ..

وعرض (رولان) على (عصام) العمل لحسابه ، في وكالة (روجيه) للأنباء ، بمرتب شهري يفوق مرتب (عصام) في عامين كاملين ..

ووضع الثعالب كل العرائيل الممكنة أمام (عصام) ، لدفعه إلى قبول العرض ..

سرقوا جواز سفره ، وأوراقه ، ونقوده ..

تركوه ضائعاً في (باريس) ..

ثم أنقذوه من كل هذا فجأة ..

كان المطلوب هو أن يفرسوا في أعماقه شعوراً ، بأنهم الأمل والإنقاذ ، والأمان ..

وكاد (عصام) يقع في الفخ ، لولا أن تبّه فجأة إلى عذّة أخطاء ، وقع فيها الثعلبان ، دون أن ينتبها ..

وهنا اتخذت اللعبة مساراً جديداً ..
وانتقل (عادل محمود) ، مدير قسم مكافحة التجسس ، بمباحث أمن الدولة ، إلى (باريس) ..
وبدأت (لعبة الثعالب) ..

وقبل (عصام) العمل في وكالة (روجيه) ، كجزء من اللعبة ، وقرّر (رولان) أن يخضعه لاختبار ثقة ..

وفوجئ (عصام) بهجوم عنيف على جناحه بالفندق ، وتعرّض لضغط بدني ونفسي عنيف ، ليعترف بأنه يعمل لحساب (رولان) ، إلا أنه رفض أن يعترف في إصرار ، حتى فقد الوعي ..

وهكذا اجتاز (عصام) اختبار الثقة ، الذي أخضعه له (رولان) ..

واجتاز أيضاً مرحلة جديدة من اللعبة ..

لقد انتصر المصريون في هذه الجولة ..

وحانت لحظة الجولة الثانية في اللعبة ..

(لعبة الثعالب) (*) ..

— كيف ؟

أجابه (عصام) في حدة :

— لقد هاجمني بعض الأوغاد أمس ، وحاولوا إجبارى على الاعتراف بأننى أعمل لحسابك ، حتى أنهم قد قتلوا (جان)
سأله (رولان) في اهتمام :

— وهل اعترفت لهم ؟

لوح (عصام) بكفه ، وهو يتف فى غضب :

— كلاً بالطبع ، ولست أفهم لماذا ؟

ولوح بسبائه فى وجه (رولان) ، مستطرداً :

— هل لك أن تشرح لى ، لماذا كل هذا القدر من

السرية ؟... أليس صاحب وكالة أنباء رسمية ؟

تطلع إليه (رولان) لحظة فى صمت ، ثم لم يلبث أن انفجر

ضحكاً بغتة ، على نحو أثار دهشة (عصام) ، قبل أن يُرثى

على كتفه ، قائلاً فى مرح :

— أنت كثير التساؤلات ياميسو (عصام) ، ولكننى

سأخبرك بكل ما ترغب فى معرفته .

وقاده إلى حديقة القصر ، نحو حوض الاستحمام ، وهو

يضع يده على كتفه فى مودة ، مستطرداً :

كانت الأمطار قد توقفت عن المطول ، ولكن الغيوم كانت
تثلاً السماء ، وتجب قرص الشمس تماماً ، عندما وصل
(عصام) إلى قصر (رولان روجيه) ، فى الثامنة والنصف من
صباح اليوم التالى ، ولقد استقبله هذا الأخير فى ترحاب ، ورفع
حاجبيه بدهشة مفتعلة ، وهو يتف بأسلوب ممجوج :
— يا للشيطان !! ماذا أصابك ياميسو (عصام) ؟..

هناك عدّة كذمات فى وجهك ، و.....

قاطعه (عصام) فى صرامة :

— أعلم ذلك ياميسو (رولان) ، فقد طالعت وجهى
فى المرأة ، قبل أن أحضر إلى هنا ، ولم يُرق لى مارايته ، وأخذتنى
سأحصل على مقابل ذلك منك .

هتف (رولان) ، فى دهشة واضحة الالتهال :

متى أنا ؟!

أجابه (عصام) فى حزم :

— بالتأكيد .

ثم أشار إلى كذمات وجهه ، مستطرداً فى حدة :

— فأنت المسئول عن كل هذا .

ارتسمت على شفتى (رولان) ضحكة خبيثة ، وهو

يقول :

— سبق أن أخبرتك ، أن عالم وكالات الأنباء العالمية بالغ الصعوبة والتعقيد ، وأنه أشبه بعالم أجهزة الإبرات ، فالتنافس بين تلك الشبكات ، بعضها وبعض ، شديد القسوة والعنف ، إذ إن ربح جولة واحدة ، قد يغني ملايين الدولارات ؛ لذا فكل الوسائل التي تتخيلها ، المشروع منها والمنوع ، تستخدم للقضاء على المنافسة ، وتحقيق ربح جديد ، وحصولي على صحفى ناجح مثلك ، يثير جُئون الشبكات المنافسة ، ويجعلها تبذل أقصى مالدنيا ؛ لإقصائك عن الطريق .

سأله (عصام) في حدة :

— لماذا السرية إذن ، ماداموا يعلمون ؟

ابتسم (رولان) ، وأشعل سيجاره الفاخر ، ونفث دخانه في عمق ، وهو يقول في هدوء :

— لأنهم ليسوا واثقين بعد .

ثم جلس على مقعد وثير ، يواجه حوض السباحة ، وأشار إلى (عصام) بالجلوس على آخر بجواره ، قبل أن يستطرد :

— إنهم الآن في مرحلة شك ، تدفعهم للقلق والتوتر ، وسيعانون تلك المرحلة طويلاً ، حتى يقعوا على ما يؤكد لهم أنك تعمل معنا .

غمغم (عصام) في قلق :

— وعندئذ ؟

ابتسم (رولان) ابتسامة واسعة ، وهو يقول :

— لا داعي لأن تعرف ما سيحدث عندئذ .

كانت العبارة أكثر إثارة للخوف ، مما لو كان (رولان) قد أجابه بأنهم سيقتلونه ، إلا أن هذا لم ينفث في غضب (عصام) ، الذي عماش اللعبة ، وراح يستمتع بكل لحظة فيها حتى النخاع ، حتى وهو يغمغم ، متظاهراً بالخوف :

— لقد فهمت .

أوماً (رولان) برأسه ، وهو يغمغم :

— كنت أعلم أنك ذكي .

وصمت لحظة ، نفث خلالها دخان سيجاره مرة أخرى ، ثم أردف في هدوء ، وهو يختلس النظر إلى ملاح (عصام) :

— وهذا يستدعي تنظيم وسائل الاتصال بيننا .

كان (عصام) يتوقع هذه العبارة ، وبتنظرها ، بعد أن شرح له (عادل) كل أبعاد اللعبة — تقريباً — هذا الصباح ، قبل أن يأتي لزيارة (رولان) ؛ لذا فقد حافظ على هدوء ملامحه ، وتظاهر بعدم الفهم ، وهو يقول في هدوء :

— سأصل بك يومًا ، إذا مالزم الأمر .

أجابه (رولان) فى دهاء :

— لست أقصد موعد الاتصال :

وبكل براءة ، سأله (عصام) :

— ماذا تقصد إذن ؟

برقت عينا (رولان) ، وهو يقول :

— أسلوب الاتصال نفسه .

انطلقت فى أعماق (عصام) ضحكة ساخرة ، كتمتها

ملاحمه الهادئة ، وهو يقول فى بساطة :

— أظن أن الهاتف هو أبسط وأسرع الوسائل ،

ف (مصر) تتصل الآن بكل شبكات الأقمار الصناعية ، بحيث

يمكننى من هاتفى أن أتصل بأى مكان فى العالم ، و.....

لوح (رولان) بكفه ، وهو يقول :

— خطأ يامسيو (عصام) .. الاتصال بواسطة الهاتف هو

أسهل وسيلة لكشف مالدريك من معلومات ، فأجهزة مراقبة

الهواتف بسيطة ، ومتوافرة .

قال (عصام) محتجًا :

— ومن يفكر فى مراقبة هاتفى ؟

أجابه (رولان) فى حزم :

— وكالات الأنباء المنافسة .

لم يستطع (عصام) كبح ضحكته هذه المرة ، فتركها

تطلق من أعماقه ، وهو يقول :

— يا إلهى !.. إنك تباليغ كثيرًا يامسيو (رولان) .. ألا

ترى معى أنك تضيئى قدرات أسطورية على وكالات الأنباء

تلك ؟

هتف (رولان) فى حدة :

— إنها أقوى مما تتصور .

ضحك (عصام) ، وهو يقول :

— إلى حد مراقبة هاتفى فى موطنى !؟

عقد (رولان) حاجبيه ، وهو يقول فى حزم :

— وإلى حد مراقبة فراشك فى منزلك .

تظاهر (عصام) بالانزعاج ، وهو يغمغم :

— يا إلهى !!

أضاف (رولان) فى حزم :

٢ — التدريب ..

تألفت عينا (عادل محمود) ، وهو يهتف في لهجة ظافرة :
— رابع .. إذن فقد أخبرك (رولان) أنهم سيلقنوك
أسلوب التخاطر السريّ هذا المساء !
أوماً (عصام) برأسه إيجابها ، وهو يقول :
— نعم .. سألتقي به في مكان سريّ ، يلقنني فيه ذلك
الأسلوب .

سأله (عادل) في اهتمام :
— وأين ذلك المكان السريّ ؟
— هُزّ (عصام) كفيه ، وهو يقول :
— لست أدري .. إنه لم يخبرني به ، فقط طلب مني أن
أنظر سيارة (بورش) صفراء ، عند ناصية (الشانزليزيه) ،
في تمام الخامسة مساءً .

عقد (عادل) حاجبيه ، وهو يقول :
— لاشك أنهم سيقودونك إلى مكان سريّ بحق .
هتف (عصام) في توتر :
١٥

— إنني أعرف أكثر منك بأضعاف مضاعفة ، في هذا
الشأن يامسيو (عصام) ، ومن الأفضل لكلينا ، حتى ينظم
العمل هنا ، أن تقلل من سيل أسئلتك تدريجيّاً ، وتستمع إليّ ،
وتحاول أن تؤطّن نفسك على طاعني دون مناقشة .
كانت مطالب (رولان) من ذلك النوع ، الذي يستفز
مشاعر (عصام) في شدّة ، إلا أنه — وعلى الرغم من ذلك —
قد أجابه في هدوء واستسلام :

— كما تشاء يامسيو (رولان) .
تنهّد (رولان) في ارتياح ، وهو يقول :
— هذا أفضل كثيراً .
ثم عادت عيناه تبرقان ، وهو يميل نحو (عصام) ،
مستطردّاً في انفعال :
— والآن ستبدأ مرحلة جديدة معنا .. ستعلّم أسلوبنا
السريّ في المراسلة ..

وتراجع دون أن يخفت بريق عينيه ، مردفاً :
— وبعدها تصبح أخطر عملاًنا في (القاهرة) ..

— ولكنكم ستبعونني بلا شك .
 التفت إليه (عادل) ، وتطلع إلى ملامحه لحظة ، قبل أن
 يجيب في خفوت :
 — كلاً بالطبع .
 قفز (عصام) في مكانه ، وهو يهتف في دُعر :
 — ماذا ؟
 أشار إليه (عادل) ، هاتفاً :
 — مهلاً .. من الضروري ألا نفعل .
 صاح (عصام) في انفعال :
 — كيف ؟ .. أليس من المحتمل أنهم يتبعون قتل هناك ؟
 هز (عادل) رأسه نفياً ، وهو يقول :
 — كلاً .. ليس هذا محتملاً ، فلو أنهم يتبعون قتلك ، ما
 تجشموا كل هذا العناء ، ولا كفوا بإطلاق النار عليك هنا ، أو
 دس السم لك ، دون أن يكشف أمرهم أحد .
 عقد (عصام) حاجبيه في سُخط ، وهو يقول :
 — يالك من مطمئن !
 زفر (عادل) ، واقترب منه ، ليضع يده على كتفه ،
 قائلاً :



تألفت عينا (عادل محمود) ، وهو يهتف في لهجة ظافرة :
 — رابع .. إذن فقد أخيرك (رولان) أنهم سيلقونك أسلوب التخاطر السري ..

— اسمع يا (عصام) .. لا تتصور أبدًا أن هؤلاء الثعالب
قد أولئك كل ثقتهم ، مجرد أنك قد رفضت الاعتراف بعملك
مع (رولان) ، فحتى لو وثق بك هذا الوغد كل الثقة ،
فسيحتاج رؤسائه إلى تأكيد هذه الثقة ، قبل أن يؤلوك ثقتهم
بذورهم ، وهذا يعني أنه من المحتمل أن يكونوا قد وضعوا فريقًا
لمراقبتك ، والتأكد من أن أحدًا لن يتبعك ، في طريقك إلى
ذلك الوكر السري ، ولو أننا تبعناك ، فيكشفون ذلك
حتمًا ، إذ إنهم يملكون كل الأوراق ، في هذا الشأن ، فهم
سيحددون خط السير ، وهم وحدهم يمكنهم إعداد نقاط
مراقبة خفية .

غمغم (عصام) في توثر :
— من الضروري أن أذهب وحدي إذن ؟
أوماً (عادل) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :
— نعم يا (عصام) .. عليك أن تتجاوز هذه المرحلة
وحدهك .

ثم اعتدل مستطرذا في حزم :
— وبعدها ستجدنا دائمًا إلى جوارك .

والتفت عيناه بعيني (عصام) ، وهو يردف في قوة :
— دائمًا ..

لم تكد عقارب الساعة تشير إلى تمام الخامسة مساءً ، حتى
برزت (البورش) عند ناصية (الشانزليزية) ، وتوقفت أمام
(عصام) ، وبرز من نافذتها وجه رجل غليظ الملامح ، أجش
الصوت ، قال في صرامة :

— ماذا تفعل شمس (مصر) في ليل (باريس) ؟
أجابه (عصام) في هدوء :

— تذيب الثلوج .
ابتسم الرجل ابتسامة واسعة ، أبرزت أسنانه الصفراء
القدرة ، وهو يغمغم :
— هناك أماكن أفضل لذلك .

كانت هذه هي عبارات السر المتفق عليها ، لذا فدون أن
يضيف حرفًا واحدًا ، دار (عصام) حول مقدمة السيارة
وجلس على مقعدها المجاور للسائق ، الذي انطلق بسيارته على
الفرور ..

وفي صمت تام ، قطع الرجل شارع (الشانزليزية) كله ،
قبل أن ينحرف يمينًا في نهايته ، ويغمغم في خشونة :

— أهنأك من يتبعك ؟

أجابه (عصام) في اقضاب وثقة :

— كلاً .

ألقي الرجل نظرة على مرآة سيارته ، وقال في غلظة :

— أنت كاذب .

عقد (عصام) حاجبيه في غضب ، وهو يقول في جدّة :

— التزم الأدب يا رجل .. لقد قلت لك

قاطعه الرجل في صرامة :

— فليذهب ماقلته إلى الجحيم .. هناك من يتبعنا .

اتسعت عينا (عصام) في دهشة ، وهو يهتف :

— ماذا ؟

وفجأة ، زاد الرجل من سرعة سيارته ، وهو يهتف في

غضب :

— لقد خنتنا .

التفت (عصام) خلفه في دُعر ، وكاد قلبه يتوقف بين

ضلوعه ، عندما وقع بصره على (البيجو) الحمراء ، التي تتبع

(البورش) في إلحاح ، وهتف بالعربية في توثر بالغ :

— يا إلهي !! من أين أنت هذه السيارة ؟

أدهشه أن أجابه الرجل بالعربية أيضا :

— ألك هذا السؤال أم لي ؟

حدّق (عصام) في وجه الرجل في دهشة ، وسمعه يستطرد

في غضب :

— اللعنة !! ماكان ينبغي لهم أن يتقوا بك .

صاح (عصام) في جدّة :

— اللعنة عليك أنت .. لست أدري من أين أنت هذه

السيارة ، وما الذي تشده من مطاردتنا !

صرخ الرجل في غلظة :

— ادّخر عباراتك ، فلن نخدعني .

تنبّه (عصام) في تلك اللحظة إلى أنهم يغادرون

(باريس) ، إلى طريق زراعي وسط الحقول ، فهتف في توثر :

— إلى أين ؟

أجابه الرجل في خشونة :

— لو أنك تصوّر أنني سأقودهم إلى انخبأ السّرّي ، فأنت

واهم .

وفجأة ، انحرف بين الحقول ، وأوقف محرّك سيارته ،

مستطرذا في جدّة :

٣ — الثعالب ..

من المعروف أن رجال المخابرات ، في أية دولة ، يتلقون تدريبات مكثفة ، تؤهلهم للقتال على أرفع مستوى ، ضد كل مايواجههم ، وتحت أية ظروف ..
ولقد كان خصم (عصام) رجل مخابرات محترف ..
ولكن ..

من المعروف أيضًا أنه هناك غريزة قوية ، في أعماق كل مخلوق على وجه البسيطة ، تُعرف باسم (غريزة البقاء) ..
وهذه الغريزة هي التي تدفع — حتى الحيوانات الدنيئة — للبحث عن طعامها وشرابها ، اتقاء لخطر الموت ، وهي التي تدفعها للقتال دفاعًا عن حياتها أيضًا ..
وهذه الغريزة أقوى من الاحتراف ..
نعم .. أقوى منه بكثير ..

لقد دفعت (عصام) ، الذي يواجه الموت ، إلى التحرك بسرعة مذهشة ، أذهلت خصمه المحترف ، عندما فوجئ به بملوص فجأة إلى أسفل ، ويشي ركبتيه ، ثم يدفع قدميه في صدره ، بكل مايملك من قوة ..

— فلتز من مثا سينتصر !!

خفق قلب (عصام) في شدة ، وهو يحبس أنفاسه ، حتى تجاوزتهم (البيجو) الحمراء ، وقد بدا وكأن أحدا من ركبها لم ينتبه إليهم ، على الرغم من أن المسافة التي كانت تفصلهما ، لم تكن بالغة الكبر ، إلى الحد الذي يحدد ركاب (البيجو) ، عندما انحرفت (البورش) بين الحقول .
وتنفس (عصام) الصعداء ، عندما ابتعدت (البيجو) الحمراء ، وغمغم في ارتياح :

— يا إلهي !! ماذا كانوا يريدون ؟
وفجأة ، شُحِب وجهه ، وجحظت عيناه ، عندما رأى فوهة مدسّس الرجل الغليظ أمام عينيه ، وسمعه يقول في جدّة وخشونة :

— فلتزجل إجابة هذا السؤال لما بعد .. بعد أن أقتلك ..



وشهق رجل المخابرات المحترف ، وجحظت عيناه في ألم
وذُهل ، وهو يدفع باب السيارة بظهره ، ويقفز خارجها ..
وبسرعة عجيبة ، انقضَّ عليه (عصام) ، وكال له لكمة
أودعها كل قوته ، وكل رغبته في البقاء ، فتأوَّه رجل المخابرات
في قوة ، وسقط مسدَّسه ، ودارت به الأرض ..
وهنا اختطف (عصام) المسدَّس ، وقفز واقفاً على قدميه ،
وهو يصوِّبه إلى الرجل ، هاتفاً في توثر :

— أيروق لك أن أطلق النار عليك الآن ؟ لقد أردت أن
تقتلني .. أليس كذلك ؟

هتف الرجل في جذَّة :

— أنت المستول عن تلك السيارة ، التي تتبعنا .

صاح (عصام) في غضب :

— اللعنة عليك وعلى سيارتك .. لا أحد يتبعني إلى هنا ،

لأنه لا أحد يعلم بقُدومي إلى هنا .. هل فهمت ذلك المنطق
البسيط ؟

ارتجف جسد (عصام) في قوة ، عندما سمع من خلفه صوتاً
هادئاً ، صارماً ، يقول :

— نعم .. لقد فهمت .

استدار (عصام) إلى مصدر الصوت في قوة وغنف ،
وشهز مسدَّس رجل المخابرات نحوه ، ثم لم يلبث أن تصلَّب في
مكانه ، وألقى المسدَّس من يده ، ورفع ذراعيه فوق رأسه
مستسلماً ..

فلقد كان أمامه أربعة رجال ، يصوِّبون إليه مسدَّساتهم في
حزم ..

لقد خسر المعركة ..

وخسر حياته كلها ..

« لقد ربحت » ..

نطقها أحد الرجال الأربعة ، الذين يصوِّبون مسدَّساتهم
نحو (عصام) ، في هدوء أدهش هذا الأخير ، وجعله يحذق في
وجه الرجل ، مغمغماً :

— ماذا ؟

عاد الرجل يكرّر في هدوء ، وهو يخفض مسدَّسه ، ويشير
إلى الثلاثة الآخرين ؛ ليحذّروا حدّوه :

— أقول إنك قد ربحت .

تطلَّع (عصام) إلى وجوههم في خيرة ، وهو يغمغم :

صاح في غضب :

— لماذا ؟

ثم لَوَّحَ بذراعه ، مستطرذاً في خنق :

— فلتذهب وظيفتكم إلى الجحيم .

عقد الرجل حاجبيه ، وهو يقول في توثر :

— لاداعى يامسيو (عصام) .. لقد كان هذا آخر

اختيار .

هتف (عصام) في لهجة ، تجمع ما بين الشخيرة

والنصب :

— يا للهول !! .. وماذا ينبغي أن أفعل ، بعد تصريحك

هذا ؟ .. أأصق جذلاً ، أم أرقص طرباً ؟

صاح الرجل في جدة :

— لا هذا ولا ذاك يامسيو (عصام) .

وانعقد حاجباه في صرامة ، وهو يردف :

— فقط ستصبحنا للقاء مسيو (رولان) .. إنه ينتظرك .

أطلق (رولان) ضحكة عالية ، بعد أن استمع إلى

(عصام) ، وقال وهو يربت على كتف هذا الأخير في حرارة :

— رجحت ماذا ؟

ابتسم الرجل ، وهو يقول :

— رجحت هذا الاختيار .

اتسعت عينا (عصام) ، وهو يهتف :

— يا إلهي !.. هل تغني ؟

قاطعه الرجل مبتسماً :

— نعم يامسيو (عصام) .. نحن الفصلنا تلك المطاردة ،

والفعل (يائيل) الغضب ومحاولة قتلك ، لنعلم ما إذا كنت قد

دفعت أحداً لتبعك أم لا ..

ثم اتسعت ابتسامته ، مستطرذاً :

— ولقد رجحت .

صمت (عصام) لحظات ، وهو ينقل بصره بين وجوههم

في دهشة بالغة ، قبل أن يتفجر ساخطاً :

— عليكم اللعنة !! بأي حق تتلاعبون بعواطفى

ومشاعرى وانفعالاتى هكذا !؟ .. بأي حق تعرضوننى لاختبار

تلو الآخر !؟

غمغم الرجل في ارتباك :

— معذرة يامسيو (عصام) ، ولكن كان من الضروري

أن نتأكد أولاً .

— لا تغضب هكذا يا عزيزي .. إنه مجرد اختبار عادي ،
يتعرض له كل من يعمل معنا .

خلج (ريمون) (عصام) بنظرة طويلة ، من عينيه
البارزتين ، قبل أن يضيف في برود :

— ونحن نعوض ذلك براتب ضخيم .. أليس كذلك ؟

هتف (عصام) في خنق :

— هل تظن أن خمسة آلاف دولار تكفي ، ليمتلي وجهي
بالكدمات ، وتحترق أعصابي هكذا ؟

عقد (ريمون) حاجبيه في شدة ، وبدا وكأنه سيلقي بعبارة
عصية غاضبة ، لولا أن أسرع (رولان) يقول :

— كلاً بالطبع .. هناك مكافآت إضافية .

وفتح درج مكتبه ، والتقط منه رزمة من الأوراق المالية ،
ألقي بها إلى (عصام) ، مستطرداً باتسامة مأكرة :

— مثل خمسة آلاف دولار مثلاً .

كاد (عصام) يرفض المبلغ ، صائخاً بأن المال لا يغنيه ،
بقدر ما يغنيه كرامته ، لولا أن دوت عبارة (عادل) في عقله :

— تذكر أنه من الضروري ألا ترفض أية مكافأة مالية ، وأن
تتفق ماتقاضاه منهم في إصراف ، كرجل محب للمال ، فهذا

يجعلك تبدو أفضل في نظرهم ، فالرجل الذي يهتم بكرامته ،
أكثر من اهتمامه بالمال ، لا يمكن أن يصبح جاسوساً أبداً .

تذكر تلك العبارة ، فتناول رزمة الأوراق المالية في هدوء ،
ودسها في جيبه ، قائلاً :

— لا بأس .. هذا التعويض يكفي .

واصطنع الحث ، وهو يردف في برود :

— في الوقت الحالي .

ضحك (رولان) ، وهو يقول :

— سيكون هناك المزيد باستمرار .

أما (ريمون) ، فقد ازداد انعقاد حاجبيه الكئيب ، وهو
يفغمم :

— كلما أحسنت العمل بالطبع .

رمقه (عصام) بنظرة باردة ، ثم تجاهله تماماً ، وهو يلتفت
إلى (رولان) ، قائلاً :

— أتعلم أنك رجل داهية بالفعل يا ميسيو (رولان) ؟ ..؟

إنني لم أتوقع أبداً أن يكون ذلك الخبأ السري ، الذي تحدثت
عنه ، هنا ، أسفل قصرك .

ابتسم (رولان) ، وهو يقول :

— إنه نوع من الاحتياط يا عزيزي .

واصطحب (عصام) إلى حجرة جانبية ، ملحققة بحجرة مكتبه ، وهو يقول :

— إن أفضل مكان تخفى فيه أى شئ ثمين ، هو تحت أبصار وأنوف اللصوص .

غمغم (عصام) :

— هذا صحيح .

لم يكن هناك ، داخل تلك الحجرة الصغيرة ، سوى مقعدين ، جلس (رولان) على أحدهما ، ودعا (عصام) للجلوس على الآخر ، على حين أغلق (ريمون) باب الحجرة ، وهو يقف أمامه هادئاً ، فغمغم (عصام) ، وهو يتلقتح حوله :

— أين أدوات التدريب ؟

ابتسم (رولان) ، وهو يقول فى هدوء :

— إننا نهبط إليها ..

هتف (عصام) فى دهشة :

— نهبط إليها ؟!

أوماً (رولان) برأسه إيجاباً ، وقال :

— نعم .. ولقد وصلنا .

ثم أشار إلى (ريمون) ، ففتح باب الحجرة الصغيرة ..

واتسعت عيناه (عصام) فى دهشة ..

لقد اختفت حجرة المكتب ، وحلت محلها قاعة واسعة ..

قاعة التدريبات الشيطانية ..



٤ — المِراة ..

لم تكن تلك هي أوّل لعبة لـ (عادل محمود) ، مع مخبرات العذوّ ، غير سنوات عمله الطويلة ، إلا أنه بدا ، في تلك الليلة ، وهو يقف خلف نافذة حجرته ، متطلّعًا إلى شوارع (باريس) في سُرود ، وكأنها لعبته الأولى مع الثعالب ، حتى أن زميله (إبراهيم) قد اقترب منه ، مغمغمًا :

— ماذا بك ؟ .. إنني لم أزل أبدًا متوترًا هكذا ، حتى في أثناء عملية (موسكو) .

زفر (عادل) في عمق ، وهو يقول :

— لم تكن حياة أعزّ أصدقائي في اللعبة حينذاك يا (إبراهيم) .

هزّ (إبراهيم) كتفيه ، وهو يقول :

— وما الفارق ؟ .. المفروض أن كل هذا الصالح (مصر) .

أوماً (عادل) برأسه إيجابًا ، وقال :

— أعلم ذلك يا (إبراهيم) ، ولكنني لا أستطيع كبح مخاوفي .

ابنسم (إبراهيم) في تعاطف ، وهو يقول :

— أظنّ أنه يتعرّض للخطر ؟

مطّ (عادل) شفّيته ، وهو يقول :

— كل مراحل اللعبة تحمل في طيّاتها الخطر يا (إبراهيم) .

قال (إبراهيم) :

— بالتأكيد ، ولكنني أغني أي خطر على حياته .

هزّ (عادل) رأسه نفيا ، وهو يقول :

كلّا .. ليس في هذه المرحلة .

وعاد يشرد ببصره لحظات ، قبل أن يردف :

— إن كل ماسيحرصون عليه ، في تلك المرحلة ، هو

إبهاره .. إبهاره حتى النخاع ..

كان (عادل) على حقّ تمامًا هذه المرّة ..

لقد كان (عصام) ، في تلك اللحظة ، مبهورًا حتى

النخاع ..

كان يدير بصره في أنحاء القاعة الواسعة ، اغتشدة

بالأجهزة الحديثة ، في انبهار كامل ..

وعلى شفتي (رولان) ، ارتسمت ابتسامة ظافرة ، وهو
يدير عينيه بين (عصام) و (ريمون) ، الذي اكفى بعقد
حاجبيه في تؤثر كعادته ، حتى هتف (عصام) :
— يا إلهي !.. ما هذا المكان ؟

ابتسم (رولان) ، وهو يجيب في هدوء :
— إنه حجرة تدريب المراسلين الجدد يا عزيزي .
هتف (عصام) في انبهار :
— حجرة تدريب ؟!

ثم التفت إلى الحجرة التي أنشأ منها ، مستطردًا :
— وهل هبطنا إليها بوساطة تلك ؟
أجابته (رولان) في هدوء :
— نعم .

ثم عقد ذراعيه أمام صدره ، مستطردًا :
— أتعلم يا عزيزي (عصام) .. لقد اقتنعت بأن الاتصال
الهاتفي أسرع وأبسط وسائل الاتصال .
ابتسم (عصام) في سخرية ، وهو يقول :
— وماذا عن المراقبة الهاتفية ؟
برقت عينا (رولان) في لحبث ، وهو يقول :



— كل شيء يمكن تجاوزه يا عزيزي .

ثم تبادل نظرة غامضة مع (عصام) ، قبل أن يقول :

— هل سمعت عن اختراع يُدعى (الفاكسميل) يا مسيو

(عصام) ؟

أجاب (عصام) في هدوء :

— بالطبع .. إنه جهاز خاص ، يتم إيصاله بالهاتف ، بحيث

يُمكن بواسطته إرسال الصور والخطابات ، عبر أسلاك

الهاتف .

ابتسم (رولان) ، وهو يقول :

— تمامًا .

وعاد يتبادل تلك النظرة الغامضة مع (ريمون) ، قبل أن

يستطرد :

— سيكون هذا هو أسلوب اتصالنا السري .

شعر (عصام) في أعماقه باستخفاف شديد لتلك

الفكرة ، وعجز عن إخفاء استخفافه في أعماقه ، وهو يقول :

— يا للسخف !!! هذا لا يختلف كثيرًا عن المحادثات

الهاتفية يا مسيو (رولان) ، بل إنه أكثر عرضة للكشف ،

وإثارة الشبهات .

لم تفارق الابتسامة شففى (رولان) ، وهو يقول :

— كيف يا مسيو (عصام) ؟

لوح (عصام) بكفه ، قائلاً :

— أولاً : كيف يمكن تبرير حصول صحفي عادي مثل ،

على جهاز (فاكسميل) خاص ، حتى لو أعلننا صراحة أنني

أعمل لحسابكم ، بخمسة آلاف جنيه شهريًا ..؟ أتعلم كم يبلغ

سعر أقل جهاز (فاكسميل) ؟

أجاب (رولان) في هدوء :

— ما يقرب من عشرة آلاف دولار .. أما عن تبرير

حصولك على (الفاكسميل) ، فهو أمر أبسط مما تتوقع ..

وابتسم ابتسامة واسعة ، وهو يستطرد :

— ستلقاه هدية من وكالة (روجيه) للأبناء ، مع كل

تكاليف تركيبه ، واشترائه السنوي في (مصر) ، بمناسبة

فوزك بجائزة (الفيجارو) .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول :

— فليكن ، ولكن كيف نتجاوز الرقابة الهاتفية .. إن كل

رسالة بواسطة (الفاكسميل) يُمكن التقاطها ، و.....

قاطعه (رولان) في هدوء :

— اطمئن يا عزيزي (عصام) .. لن يحدث هذا .

هتف (عصام) في حق :

— كيف ؟

التقط (رولان) آلة حلاقة كهربائية صغيرة ، وهو يقول :

— بوساطة هذا .

ابتسم (عصام) في سُخرية ، وهو يلتقط آلة الحلاقة ، قائلاً :

— كيف ؟ .. أنتظن أنهم لن يلتقطوا الرسالة ، مجرد أنني سأحلق ذقني كل صباح ، بآلة حلاقة كهربائية .

مط (ريمون) شففيه ، وازداد انعقاد حاجبيه الكثين في غضب ، وكأنما يكره المرح والدعابات ، شأن أي شيطان ،

على حين أطلق (رولان) ضحكة مرحة ، قائلاً :

— كلاً بالطبع .. لا أظنهم سيهتمون بمظهرك كثيراً .

وعاد يلتقط من يده آلة الحلاقة الكهربائية ، مستطرداً :

— صحيح أن هذه الآلة تصلح لحلاقة الذقن على نحو جيد ، إلا أنها تصلح أيضاً لأغراض أخرى .

وأشار إلى زُر صغير ، يختفي في مهارة ، في قاع الآلة ، مردفاً :

— بالضغط على هذا الزر الصغير ، تتحول آلة الحلاقة

البرينة المظهر ، إلى جهاز بالغ الخطورة .. هل تعلم كيف يعمل جهاز (الفاكسميل) ؟ .. إنه يحول لخطوط والأضواء إلى

ذبذبات خاصة ، تنتقل عبر أسلاك الهاتف ، يلتقطها جهاز مشابه ، ويعيدها إلى خطوط وأضواء ، بعملية عكسية .

غمغم (عصام) :

— هذا صحيح .

ابتسم (رولان) ، وهو يقول :

— حسناً .. عندما تكتب خطاباً لنا ، ستترك سطرًا بين كل سطرين مكتوبين ، وفي هذا السطر ، ستكتب ما لديك من

معلومات ، بقلم مغناطيسي خاص ، ثم توصّل آلة الحلاقة بجهاز (الفاكسميل) ، وتضغط ذلك الزر ، وترسل الخطاب .

ولم يتالك نفسه من إطلاق ضحكة عالية ، قبل أن يُردف :

— ورجال المراقبة الهاتفية يستخدمون جهاز (فاكسميل) للمراقبة ، ولكن جهازهم لن يحوى ذلك الجهاز

الإضافي الصغير ، مثل جهازك وجهازنا .. ومهمة هذا الجهاز الصغير هي أن يتقن تلك الأسطر ، المكتوبة بالقلم

المغناطيسي ، ويرسلها على ذبذبة خاصة ، يستحيل استقبالها ، إلا بوساطة جهاز مشابه .

شعر (عصام) بذعر حقيقي ، لذلك التقدّم التكنولوجي
الخفيف ، وهو يغمغم :

— يا إلهي !!

عاد (رولان) يُطلق ضحكة أخرى عالية ، قبل أن يتابع :
— وهكذا يستقبل رجال المراقبة رسالة عادية ، ونستقبل

نحن رسالة خاصة .. هل فهمت ؟

غمغم (عصام) في توثر :

— فهمت .

ابتسم (رولان) في ظفر ، وقال :

— والآن .. هيّا لتعلّم كيفية استخدام القلم المغناطيسي ..

إنك ستصبح أخطر عملائنا .. أليس كذلك ؟ ..

لم يبتس (عصام) بحرف واحد ، طوال الطريق من قصر

(رولان) إلى فندقه ، ولم يحاول سائق السيارة أن يقطع صمته

لحظة واحدة ..

وفي أعماقه كان (عصام) يشعر بهلع ..

هلع حقيقي ..

كان ما رآه يجعله يرتجف ، ويشفق على وطنه ، الذي يقاتل
حُصُونًا يمثل هذا التقدّم ، وهذه القوة ..

وتساءل في لوعة :

— كيف يحمل وطنه هذا الصراع غير المتكافئ يا ترى ؟

وفي أعماق قلبه سالت دموع المارّة ..

سالت في غزارة ..



استقبل أفراد قسم الحوادث زميلهم (عصام) ، بعاصفة من الترحاب والتبجيل في (القاهرة) ، والتفوا حوله ينتونه بتسليم جائزة (الفيجارو) ، وجائزة وكالة (روجيه) للأبناء ، وهتف أحد زملائه في مرح :

— مرخي يا (عصام) .. لقد صرت صحفيًا عالميًا ، وتملك اليوم جهاز (فاكسميلي) خاص ، لا يملكه القسم كله .

ابتسم (عصام) في شرود ، وهو يغمغم :

— أظننا مزينة يا صديقي ؟

هتف زميله :

— بالتأكيد .. أية وسيلة اتصال حديثة يملكها المرء ، هي

مزينة مؤكدة .

زفر (عصام) في شرود ، وهو يغمغم :

— بالطبع .

ثم انفصل عن زملائه ، واتجه إلى مكتبه ، وجلس خلفه ساهمًا ، شارداً ، مما أغضب بعضاً من رفاقه ، فقال أحدهم مُحتقًا :



— ماذا أصابه ؟ .. أظن أنه قد صار في مرتبة أعلى ؟

رُبَّتْ رئيس القسم على كفه ، قائلاً :

— (عصام) لا يتغير أبداً .. هناك أمر يقلقه بالتأكيد ..

أراهن على ذلك .

هتف الزميل في سُخط :

— ولماذا يقلق ؟ .. إنه يحمل كل مقومات السعادة

والظفر .. ألم يحصل على جائزة ضخمة ، و..... ؟

قاطعته رئيسه في حزم :

— هذا لا يغني الكثير بالنسبة لـ (عصام) .. صدقني ..

هناك ما يقلقه حتماً .

نعم ..

هناك ما يقلقه ..

إنه لم يتخلص بعد من ذلك الشعور السخيف بالإحباط ،

الذى ملأ نفسه ، بعد زيارته الأخيرة لقصر (رولان

روچيه) ، قُبِّلَ مغادرته (باريس) إلى (القاهرة) .

ما زال يشعر بالمرارة والإشفاق ، بعد كل مارأى من تقدُّم

رجال (الموساد) الخيف ..

وهذا الشعور لم يفارقه ، حتى وهو يجلس مع خطيبته (نهلة)

في المساء ، التى أقلقها شُرُوده وضايقها ، فقالت في رقة :

— (عصام) .. ماذا بك ؟

أدهشها أنه ظل شارداً ، وكأنما لم يسمعها قط ، حتى أنها

اضطرت إلى رفع صوتها ، وهى تكرر فى قلق :

— ماذا بك يا (عصام) ؟

ارتجف جسده ، وكأنما بُوغت بصوتها المرتفع ، وقد

عهد لها دوماً بالغة الرقة والهدوء ، والتفت إليها بنظرة أقرب إلى

الدُّعر ، قبل أن ترسم على شفتيه ابتسامة حائرة مرتبكة ، وهو

يفغمم :

— ماذا هناك يا (نهلة) ؟

عقدت حاجبها ، وهى تقول فى ضيق :

— لقد ألقيت عليك ثوؤا نفس السؤال .

سألها فى دهشة :

— أى سؤال ؟

حدّثت فى وجهه بخيرة وتساؤل ، قبل أن تهتف فى

استكثار :

— ماذا أصابك يا (عصام) ؟ .. من الواضح أنك لم

تسمع منى كلمة واحدة .

تهبّ فى عمق ، وأشاح بوجهه ، مغمغماً :

— معذرة يا (نهلة) .. لقد

حاول أن يجد عذراً مقبولاً ، إلا أن عقله الشارد عجز عن ذلك ، فاكفى بأن يتر عبارته ، ولاذ بالصمت ، وهى تتطلع إليه فى حيرة ، قبل أن يرتفع رنين جرس الباب ، فغادرت مكانها إلى جواره ، وهو يغمغم فى أسف :

— كيف يمكن أن أخبرك يا (نهلة) ؟ .. كيف ؟
أما هى ، فلم تكذ فتفتح الباب ، وتجبد (عادل محمود)
أمامها ، حتى هتفت فى لهفة :
— خالى ؟! .. حمد الله أنك قد جئت .

عقد (عادل) حاجبيه ، وهو يسألها فى قلق :
— ماذا هناك يا (نهلة) ؟

هتفت به ، فى صوت أقرب إلى البكاء :

— (عصام) يا خالى .. لست أدري ماذا أصابه ؟! .. إنه شارد الذهن للغاية .

رئت (عادل) على كشفها ، قائلاً فى هدوء :

— لا عليك يا (نهلة) .. أعدى لنا قدحين من الشاي ، وسأحاول أنا انتزاعه من حالة الشُّرود هذه .

ولم يذ أى قدر من الدهشة ، على وجه (عصام) ، عندما رأى (عادل) أمامه ، بل تطلع إليه فى شُرود ، قبل أن يغمغم :
— مرحباً يا سيادة العقيد .

جلس (عادل) إلى جواره ، وهو يسأله فى هدوء :
— كيف حالك ؟

غمغم (عصام) :

— أظننى بخير حال .. بدنياً على الأقل .

التفت إليه (عادل) ، وهو يقول فى صرامة :

— ماذا أصابك ؟ .. هل تشعر بالخوف ؟ .. هل تفكر فى التراجع ؟

هز (عصام) رأسه نفياً ، وهو يقول فى حزم :
— مطلقاً .

ومضت لحظة صمت ، قبل أن يردف فى لحفوت :
— ولكن

اكفى بتلك الكلمة الاعتراضية ، دون أن يضيف شيئاً ، وكأنما لا يجد فى أعماقه أى جديد ، فقال (عادل) ، فى محاولة لحقه على المواصله :
— ولكن ماذا ؟

تردّد (عصام) لحظات ، قبل أن يبرز رأسه ، قائلاً :

— كيف يمكننا مقاتلة هؤلاء القوم ؟

عقد (عادل) حاجبيه ، وهو يقول في صرامة :

— ماذا تقصد ؟

لوح (عصام) بكفه ، وهو يهتف :

— أقصد كيف يمكننا مجابتهم ؟ .. إنهم يملكون ما لا يقبل

لنا به .

هتف (عادل) في غضب :

— هل نجحوا في إيهارك ؟

صاح (عصام) :

— بل في إيقاظي .

جلبه (عادل) من ذراعه في غنف ، وهو يقول :

— إيقاظك من ماذا ؟ .. أنظنهم أكثر مناعة من الجميع ؟

لقد جابتهم أكثر من مرة ، وهزمناهم أيضاً أكثر من مرة ..

صدقني .. إننا أقوى منهم كثيراً .

تملّص (عصام) منه ، وهو يهتف في ألم :

— إنك لم تثر مارأيت .

هتف (عادل) :

— بل رأيت ما هو أكثر منه .

أراد (عصام) أن يعترض ، وأن يعيد وصف مارآه ، في

قصر (رولان) ، لولا أن وصلت (نهلة) في تلك اللحظة ،

وهي تحمل قدحى الشاي ، فلاذ هو و (عادل) بالصمت

بعض الوقت ، وهما يجتسيان المشروب الساخن ، حتى قال

(عادل) في هدوء :

— مارأيك أن تأتى لزيارتي في المكتب غداً ؟

تطلّع إليه (عصام) في حيرة ، قبل أن يغمغم :

— متى ؟

أجابه (عادل) في هدوء :

— في الصباح الباكر .. قبل ذهابك إلى المكتب .. فلنقل في

السابعة مثلاً .

ارتشف (عصام) رشفة من الشاي ، قبل أن يغمغم :

— لا بأس .

وبعدها لم يتبادلا كلمة واحدة حول هذا الأمر ..

مطلقاً ..

كانت عقارب الساعة تشير إلى الساعة تمامًا ، عندما دلف
(عصام) إلى مكتب (عادل) ، الذي استقبله بابتسامة
واسعة ، وصافحه قائلاً :

— لعلك أكثر هدوءًا اليوم .

تنهد (عصام) ، وهو يغمغم :

— إنني لم أنم لحظة واحدة طيلة الليل .

نهض (عادل) من خلف مكتبه ، وهو يقول :

— أما زال أمر هؤلاء الأوغاد يقلقك ؟

أجاب (عصام) :

— بالتأكيد .

ابتسم (عادل) في هدوء ، وهو يصحبه إلى خارج مكتبه .

قائلاً :

— عجبًا .. لقد راجعت ما حدث لك معهم عشرات

المرات ، فلم أجد فيه ما يستحق أو يستوجب القلق .

تطلع إليه (عصام) في دهشة ، قبل أن يقول :

— أتسخر مني ؟

قاده (عادل) إلى حجرة كبيرة أنيقة ، وهو يقول

مبتسمًا :

٥٠

— مطلقًا .

وأشار إليه بالجلوس على مقعد وثير ، قبل أن يستطرد :

— فالتليفزيون العادي قد يُبهر من لم يره قط من قبل .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول :

— ماذا تقصد ؟

ابتسم (عادل) ، وقال :

— أقصد أن وسائل المخابرات ، أو أجهزة مكافحة

التجسس ، مبهرة ذؤومًا ، لمن لا يعمل في هذا المجال .

ثم نهض من مقعده ، مستطردًا :

— هيا .. لقد وصلنا .

هتف (عصام) في دهشة :

— وصلنا إلى ماذا ؟

اتجه (عادل) في هدوء نحو الباب ، وفتحه ، وهو يقول

مبتسمًا :

— إلى قاعة التدريبات الخاصة بنا .

اتسعت عينا (عصام) في دُهور ، وهو يتطلع إلى المشهد

أمامه ..

كان الممر ، الذى قاده إلى ذلك الباب ، قد اختفى تمامًا ، وحلّت محله قاعة رهيبة ، بالغة الاتساع ، انتشر داخلها عشرات الرجال ، بعضهم يزاول تدريبات الرماية ، والبعض الآخر يعمل أمام عدد من أحدث أجهزة الكمبيوتر ، ومجموعة تفحص سيارة أنيقة ، وأخرى تعمل في مكان مغلق بمجران زجاجية ، أشبه بمعمل كيميائي متطور .

وبكل ما يملأ قلبه من انبهار ودهشة ، هتف (عصام) :
— ما هذا ؟

أجابه (عادل) في هدوء :
— قاعة التدريبات الخاصة بنا يا صديقي .
هتف (عصام) :

— ولكنها أكثر ضخامة وزوعة من

قاطعه (عادل) ، وهو يكمل قائلاً :

— من تلك التى توجد أسفل قصر (رولان) .. أليس كذلك ؟

أوماً (عصام) برأسه إيجاباً ، متمتماً :

— بلى .

وضع (عادل) يده على كتفه ، قائلاً :

— أرأيت كيف أن الأمر أبسط مما تتصور بكثير ؟ .. هذه الحجرية مجرد مصعد عادى ، ومن السهل صنع المصعد في أية صورة ، فالهم هو تلك الآلات التى تحرّكه ، وليس مظهره .. أما قاعة التدريبات ، فهى قبو خاص ، يمكن صنع مثيل له في أى مبنى ، وكل ما يحدث هو أن المصعد يهبط إليها .

غمغم (عصام) في انبهار :

— يا إلهي !!

ابتسم (عادل) ، ورئت على كتفه ، قائلاً في هدوء :

— انفض عنك ذلك الانبهار والخوف إذن يا (عصام) ، وواصل عملك في نجاح .. أرسل إلى هؤلاء الأوغاد بعض المعلومات

قال (عصام) في توثر :

— سأطلعكم على كل ما أرسله من معلومات بالطبع .. أليس كذلك ؟

هزّ (عادل) رأسه نفياً ، وهو يقول في هدوء :

— لضرورة إلى ذلك في البداية .

سأله (عصام) في قلق :

— هل أرسلها دون أن تعرفوها إذن ؟

ابتسم (عادل) ، وهو يقول :

٦ - التطوُّر ..

— ومن قال لك إننا لن نعرفها ؟

هتف (عصام) :

— لن تعرفوها بالتأكيد .. فلن أطلعكم عليها قبل إرسالها ،
ولا يمكنكم استقبالها إلا بواسطة ذلك الجهاز الخاص ، و.....
قاطعته (عادل) في هدوء :

— إننا غلّك مثله منذ عامين على الأقل .

حدّق (عصام) في وجهه بدهشة ، وهو يغمغم :

— منذ عامين ؟!

ابتسم (عادل) ، محبباً :

— أو أكثر قليلاً .

واتسعت ابتسامته (عادل) ..

اتسعت لتصبح معها ابتسامته كبيرة ، على وجه (عصام) ،

وفي قلبه ..

قلبه الذي امتلأ فجأة بثقة لحدود لها ..

إنه مواطن قوى ، في بلد عظيم ..

إنه يعمل لحساب جهاز متفوّق متطوّر ..

وهذا ما كان يحتاج إلى معرفته ، قبل أن يمضى قدماً في (لعبة

الثعالب) ..

كان يحتاج إلى الثقة ..

كان الشتاء يحضر ، والربيع يستعد للنهوض ، في أوائل
شهر (مارس) ، عندما قطع (ريمون) ، بقامته الطويلة ،
ووجهه النحيل ، ذلك الشارع الرئيسي ، من شوارع
(باريس) ، متجهاً نحو ذلك الفندق البسيط ، ليسأل موظف
الاستقبال في بُرود :

— هل (رولان) بأعلى ؟

غمغم موظف الاستقبال في روتينية :

— إنه في حجرته يامسيو (ريمون) :

صعد (ريمون) إلى حجرته (رولان) ، وطرق بابها عدّة

طرقات منتظمة ، قبل أن يدفعه ، ويدلف إلى حجرته

(رولان) ، الذي تطلّع إليه في بُرود ، قائلاً :

— ماذا هناك يا (ريمون) ؟

ناولته (ريمون) ورقة كبيرة ، وهو يقول :

— رسالة أخرى من الصحفي المصري .

تألّقت عينا (رولان) ، وهو يقول :

— هل عرضتها على قسم تحليل المعلومات ؟
 أوماً (ريمون) برأسه إيجاباً ، وقال :
 — كلها معلومات صحيحة .
 تنهّد (رولان) في ارتياح ، واسترخى في مقعده ، ونفث
 دخان سيجاره في عمق ، وهو يقول :
 — رائع .. هذا الصحفي رائع حقاً .
 عقد (ريمون) حاجبيه الكئيبين ، وهو يقول :
 — يبدو أنك كنت على حق ، في أمر تجنيده يا عزيزي
 (رولان) .
 ابتسم (رولان) في زهو ، وهو يقول :
 — إننى على حق دائماً يا عزيزي (ريمون) .
 ونفث دخان سيجاره مرةً أخرى في عمق ، قبل أن
 يردف :
 — ثلاثة أشهر ، و (عصام) يرسل لنا معلومات سليمة في
 انتظام ، ونحن نرسل له راتبه فقط .
 غمغم (ريمون) .
 — هل تنتقل إلى الخطوة التالية ؟
 صمت (رولان) لحظة ، قبل أن يغمغم :



ناوله (ريمون) ورقة كبيرة ، وهو يقول :
 — رسالة أخرى من الصحفي المصري ..

— نعم .. أظن الوقت قد حان لذلك ..

وراح ينفث دُخان سيجاره في بطاء وهدوء ، وهو يفكر في عمق ، قبل أن يسأل (ريمون) في اهتمام :

— كيف ينفق الصحفي مكافأته ؟

أجابه (ريمون) في هدوء :

— ببذخ شديد ، حتى أنني أخشى أن يلفت الأنظار إليه بذلك .. لقد أبدل سيارته بأخرى من نوع (المرسيدس) ، وأبدل أثاث منزله ، و.....

قاطعه (رولان) ، مقمقماً في تلذذ :

— رائع .

ثم التفت إلى (ريمون) ، مستطرداً في اهتمام :

— هذا يعني أنه لم يعد يستطيع التخلي عن النقود ، وأنه قد اعتاد الإنفاق في بذخ ، وأصبح مهياً للخطوة التالية .

وعاد يتطلع إلى النافذة في بطاء ، وينفث دُخان سيجاره في عمق ، قبل أن يقول في هدوء :

— اطلب منه بعض المعلومات العسكرية يا (ريمون) .

ارتفع حاجبا (ريمون) في دهشة ، وهو يهتف :

— ماذا ؟!

أجابه (رولان) في صرامة :

— قلت لك اطلب منه بعض المعلومات العسكرية .

هتف (ريمون) في دهشة :

— مباشرة ؟!

نفث (رولان) دُخان سيجاره ، وهو يقول في حزم :

— مباشرة .

زَانَ الصمت لحظة ، ثم قال (ريمون) في جدّة :

— وماذا لو رفض ؟

أجابه (رولان) في هدوء وثقة :

— لن يرفض .

هتف (ريمون) في غضب :

— وماذا لو فعل ؟

التفت إليه (رولان) في هدوء ، ونفث دُخان سيجاره في

وجهه ، قبل أن يقول في حزم :

— في هذه الحالة لن يحصل منّا على قرش واحد .

وعاد يشيح بوجهه ، مستطرداً :

— وهو سيخشى هذا ، بأكثر مما نخشاه نحن .. تبقى بذلك .

بدا (عصام) شديد التوتر ، وهو يجلس في حجرة (عادل) ، ويسأله في قلق :

— هل قرأت الرسالة الأخيرة ؟

أجابه (عادل) في هدوء :

— نعم .. قرأتها حرفاً حرفاً .

سأله (عصام) في توتر :

— وما رأيك ؟

ابتسم (عادل) ، وهو يسأله في هدوء :

— في ماذا ؟

التفت إليه (عصام) في حدة ، قائلاً :

— في طلبهم للمعلومات العسكرية .

اتسعت ابتسامة (عادل) ، ونهض من خلف مكتبه ، وانتقل ليجلس على المقعد المواجه لـ (عصام) ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يقول :

— وماذا في هذا ؟

كاد (عصام) يقفز من فوق مقعده مبهوراً ، وهو يتف :

— ماذا تقول بالله عليك ؟

أجابه (عادل) في هدوء :

— أقول إنيهم ماداموا قد طلبوا بعض المعلومات العسكرية ، فمن الضروري أن ترسلها لهم .

ثم مال نحو (عصام) ، مستدركاً بابتسامة ذات مغزى :

— تحت إشرافنا .

تطلع إليه (عصام) لحظات في خيرة ، ثم عاد يسترخي في مقعده ، مغمغماً :

— ألا يمثل هذا أية خطورة ، على أمننا القومي ؟

ابتسم (عادل) ، وهو يقول :

— دُع لنا هذه المهمة .

زأن الصمت لحظات ، قبل أن يغمغم (عصام) في خيرة :

— عجباً !!

لم يزد على هذا القول ، فمال (عادل) نحوه ، يسأله في هدوء :

— ماذا يقلقلك ؟

أجابه (عصام) في توتر :

— لقد كنت أتصور أنكم سترفضون ذلك حتماً ، حتى أنني فكّرت في إرسال الرد بالرفض مباشرة .

قال (عادل) في هدوء :

— خطأ يا عزيزي .

ثم عاد يميل نحوه ، قائلاً :

— جزء كبير من التلاعب بالخصم ، في (لعبة الثعالب) هذه ، يعتمد على إيهام الخصم بأنه يسير في الطريق الصحيح ، الذي يخطط له ، وبالنسبة لهم ، من المفروض أن تكون شخصيتك قد تغيرت تمامًا ، فأصبحت مُسرفًا ، تنفق المال بلا حساب ، وهذا يعني أنه من المستحيل أن تتخلى عنه ؛ لذا فمن المنطقي أن تتردد بعض الوقت ، عندما يطالبونك بالمعلومات العسكرية ، ثم تستسلم في النهاية ، وترسلها صاغراً . واسترختي مرة أخرى في مقعده ، وعاد يشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، مستطردًا بابتسامة واسعة :

— إنها قواعد (لعبة الثعالب) يا صديقي ..

برقت عينا (رولان) في جذل ، وهو يقرأ رسالة (عصام) الأخيرة ، قبل أن يتخبط جانبا ، قائلاً :

— رائع .. هذا الصحفي موهوب في مجال التجسس .

عقد (ريمون) حاجبيه الكثرين ، وهو يقول :

— هذا الأسلوب النمطي يورثي القلق والشك يا (رولان) ، أليس من المحتمل أن هذا الصحفي يبعث بنا ؟

أطلق (رولان) ضحكة عالية ، قبل أن يقول :

— يبدو أنك تغار من نجاحي يا عزيزي (ريمون) .

تتم (ريمون) بكلمات غاضبة مُبهمة ، فعاد (رولان)

يطلق ضحكة ساخرة عالية ، قبل أن يستطرد :

— حذار يا عزيزي (ريمون) .. أخشى أنك مضطر

للتغلب على كراهيتك لهذا الفتى ، فساكلفك مرافقته في المرحلة القادمة .

ازداد انعقاد حاجبي (ريمون) ، وهو يغمغم في سُخط :

— أية مرحلة ؟

برقت عينا (رولان) ، وهو يقول :

— المرحلة العلنية يا صديقي ، فلقد حان الوقت ليعلم

صديقنا الصحفي المصري حقيقة مهمته ، ولحساب من يعمل ..

وصمت لحظة ، قبل أن يستطرد في حزم :

— حان الوقت لإعداد جاسوسنا ..

٧ - الدعوة ..

شعر (عصام) بتوثر بالغ ، وهو يطالع رسالة (رولان) الأخيرة ، للمرة الثالثة ، منذ تلقاها على جهاز (الفاكسميل) ، منذ لحظات ..

وفي عصية واضحة ، دس الرسالة في جيبه ، وغادر منزله ، وتجاهل سيارته تماماً ، وهو ينتقل من شارع إلى آخر على قدميه ، حتى توقّف أمام كشك صغير لبيع السجائر ، وقال لصاحبه في توثر :

— إنني أبحث عن نوع خاص من السجائر .. هل أجده لديك ؟

تأمّله الرجل في هدوء ، وقال :

— ما اسمه ؟

أجابه (عصام) في قلق :

— بحر الثعالب .

ارتسمت على شفّتي الرجل ابتسامة باهتة ، لم تلبث أن تلاشت في سرعة ، وهو يقول :

— وهل تحتمل أمواجه ؟

أجابه (عصام) في توثر :

— لو أن زورقي متين .

التفت الرجل ، وكأنه يبحث عن مطلب (عصام) ، ثم التفت إليه ، وناولته علبة صغيرة ، وهو يقول في هدوء :

— ثمنها جنيه واحد .

تاول (عصام) العلبة ، وقرأ الرقم المدوّن على سطحها ، ثم ابتعد قليلاً عن الكشك ، وألقاها في جيبه ، ووقف ينتظر في هدوء ، وهو يتابع أرقام سيارات الأجرة في اهتمام ، حتى لمح واحدة تقترب في هدوء ، وهي تحمل نفس الرقم المدوّن على العلبة ، وسائقها يحيط عدّهاها بمنشفة صفراء ، معلناً انتهاء نوبة عمله ..

ومن العجيب ، وعلى الرغم من أن هذا السائق كان يرفض التوقّف ، لالتقاط أى ركّاب ، إلا أنه قد توقّف أمام (عصام) ، بمجرد أن أشار إليه ، وتركه يركب السيارة ، ثم انطلق بها ، دون أن يسأله حتى عن وجهته ..

ولم يتبادل أيهما كلمة واحدة مع الآخر ، حتى توقفت السيارة أمام مبنى قديم ، فغادرها (عصام) ، وأبرز بطاقته

حارس البوابة ، الذى راجع بياناتها فى سرعة ، ثم سمح
لـ (عصام) بالدخول فى هدوء ..

وفى الطابق الثانى من ذلك المبنى ، التقى (عصام)
بـ (عادل) ، الذى استقبله فى ترحاب ، ودعاه للجلوس ،
قائلاً :

— مرحباً يا (عصام) .. كيف حالك ؟ .. لا ريب أن
أمراً بالغ الخطورة جعلك تأتى إلى هنا ، دون موعد سابق .

غمغم (عصام) :
— أنت تعلم أن هذا يقلقنى أيضاً ، فأنت تشترط أساليب

غاية فى التعقيد ، حتى نلتقى .
هزَّ (عادل) كفيه ، قائلاً :

— هذا من أجل أمنك وسلامتك أنت .
أوماً (عصام) برأسه ، مغممًا :

— إننى أقدر ذلك .
رَأَى الصمت عليهما لحظات ، ثم سأله (عادل) فى

هدوء :
— هل من جديد ؟

رفع (عصام) عينيه إليه ، دون أن يبس يَنْتِ شفة ،
فاستطرد فى هدوء :



التفت الرجل ، وكأنه يبحث عن مطلب (عصام) ، ثم التفت إليه ،
وناوله علبة صغيرة ..

— أَتَقْلِقُكَ أَنَّهُمْ يَطْلُبُونَ مِنْكَ السَّفَرَ إِلَى (بَارِيس) ؟

أَجَابَهُ (عَصَام) فِي تَوَثُّرٍ :

— بِالتَّكِيدِ .. مَنْ يَعْلَمُ مَا الَّذِي يَعْدُونَهُ لِي هُنَاكَ ؟

عَقَدَ (عَادِل) حَاجِيَّهِ ، وَهَزَّ رَأْسَهُ فِي بَطْءٍ ، وَهُوَ يَقُولُ :

— لَسْتُ أَظَنُّهُ ضَرًّا .

سَأَلَهُ (عَصَام) فِي قَلْقٍ :

— لِمَاذَا تَنْظُمُ يَسْتَدْعُونَنِي إِذْنٌ ؟

هَزَّ (عَادِل) كَتْفِيهِ ، قَائِلًا :

— أَظَنُّهُمْ سَيَنْقَلِبُونَكَ إِلَى مَرَحَلَةٍ أَعْلَى .

ضَاقَتْ خَدَقَتَا (عَصَام) ، وَهُوَ يَقُولُ فِي تَوَثُّرٍ :

— فَقَطْ ؟ !

أَوْمَأَ (عَادِل) بِرَأْسِهِ إِيحَابًا ، مَغْمَمًا :

— فَقَطْ .

زَانَ عَلَيْهِمَا الصَّمْتُ لِحَظَاتٍ أُخْرَى ، بَدَتْ لِكُلِّ مَنِهْمَا

كَالْدَهْرِ ، قَبْلَ أَنْ يَقُولَ (عَصَام) :

— أَتَنْظُمُ يَسْمَحُونَ لِي بِالسَّفَرِ فِي الْجَرِيدَةِ ؟

هَزَّ (عَادِل) رَأْسَهُ ، مَغْمَمًا :

— لَسْتُ أَدْرِي .

ثُمَّ اسْتَدْرَكَ فِي اهْتِمَامٍ :

— وَلَكِنَّا لَنْ نَعَاوَنَكَ فِي ذَلِكَ .

عَقَدَ حَاجِيَّهِ ، مَغْمَمًا فِي جِدَّةٍ :

— لِمَاذَا ؟

أَجَابَهُ (عَادِل) فِي هَدْوٍ :

— حَتَّى لَا يَنْكَشِفَ أَمْرُكَ ، لَوْ أَنَّ لِي (الْمُوَسَّادَ) جَاسُوسًا

هُنَاكَ .

أَوْمَأَ (عَصَام) بِرَأْسِهِ مَتَفَهِّمًا ، وَقَالَ :

— أَنْتَ عَلَى حَقٍّ .

ثُمَّ نَهَضَ مِنْ مَقْعَدِهِ ، مُرْدَفًا :

— وَلَسْتُ أَظُنُّ رَئِيسَ التَّحْرِيرِ يَعْتَرِضُ عَلَى سَفَرِي إِلَى

(بَارِيس) .

نَهَضَ (عَادِل) بِسُدُورِهِ ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى كَتِفِ

(عَصَام) ، قَائِلًا :

— كُنْ عَلَى حَذَرٍ يَا (عَصَام) .

ابتسم (عصام) ابتسامة متوترة ، وهو يغمغم :
— سأحاول .

لم يتبادلا كلمة إضافية ، حتى غادر (عصام) المكان ، ولم
يكذب ، حتى دلف (إبراهيم) إلى حجرة (عادل) ،
وسأله في اهتمام :

— لماذا تظنهم يريدونه ؟

هزّ (عادل) رأسه نفياً في ببطء .. مغمغماً :

— لست أدري .. ولكنني أشعر بالقلق .

عقد (إبراهيم) حاجبيه ، وهو يقول :

— أتظنهم قد كشفوا أمره ؟

هتف (عادل) :

— مستحيل !

عاد (إبراهيم) يسأله :

— لماذا يريدونه إذن ؟

زأن الصمت لحظات ، قبل أن يغمغم (عادل) :

— لست أدري يا (إبراهيم) .. لست أردى بعد ..

وعموماً ، لقد تلقى (عصام) ، في الأشهر الثلاثة الماضية ،

كل التدريبات اللازمة ، لكل الاحتمالات الممكنة ، ولست
أخشى عليه شيئاً .

وصمت لحظة أخرى ، قبل أن يردف في حزم :

— الشيء الوحيد ، الذي أبقى به ، هو أنهم يريدونه ليستقل

إلى مرحلة جديدة .. مرحلة أكثر خطورة .



٨ — شمس (باريس) ..

على الرغم من أن (باريس) كانت أكثر بهجة وإشراقاً ، في ذلك اليوم ، عنها يوم هبط إليها (عصام) أول مرة ، إلا أنه لم يشعر بتلك النشوة ، التي شعر بها في المرة السابقة ، وهو يغادر الدائرة الجمركية قلقاً متوترًا ..

كانت شمس (باريس) تغمره هذه المرة ، ولكنه كان يشعر بخيوطها كابر حادة ، تغوص في جسده بلا رحمة أو شفقة .. لقد كان في المرة السابقة مُقَدِّمًا على الحياة .. واليوم يُقَدِّمُ على الموت ..

وأمام المطار ، وقف متوترًا ، قلقًا ، يتلفت يمينًا ويسرة ، حتى توقفت أمامه نفس (البورش) الصفراء ، ذات المقعدين ، التي قادته إلى مجل (رولان) السري لأول مرة ، يقودها نفس السائق الغليظ الملامح ، الأجش الصوت ، الذي قال في لحشونة :

— مرحبًا بك مرة أخرى ، في (باريس) يا ميسو (عصام) .

لم يُرَدِّ (عصام) تحيته ، وهو يدلف إلى السيارة ، ويسأله في توتر :

— متى ألتقي بميسو (رولان) ؟

ابتسم السائق ، وهو يقول :

— الآن .

هتف (عصام) في دهشة .

— الآن ؟

اتسعت ابتسامة السائق ، وكأنما تزوق له دهشة

(عصام) ، وهو يجيب :

— نعم .. ستبقى به طوال إقامتك في (باريس) .. فستقيم

هذه المرة في قصره .

وجد (عصام) نفسه يهتف في ذهول :

— في قصره ؟

فهقه السائق ضاحكًا ، قبل أن يقول بالعربية :

— هل يدهشك ذلك ؟

التفت إليه (عصام) في دهشة ، وعقد حاجبيه في جلدة ،

وهو يسأله :

— ما جنيتك يا رجل ؟

أجابه الرجل في سُخرية :
— هل تصرُّ على معرفة ذلك ؟

سأله (عصام) في جدَّة :

— كيف تصادف أنك تتحدَّث العربية ، وبذلك اللهجة
المصرية ؟

ابتسم الرجل مرَّة أخرى في سُخرية ، قائلاً :

— لقد ولدت في (القاهرة) .. وعشت في طرقاتها
وأزقتها حتى بلغت الثانية عشرة ، قبل أن أهاجر .

سأله (عصام) في توتر :

— عماجر إلى أين ؟

رمقه السائق بنظرة جانبية ، قبل أن تتسع ابتسامته
الساخرة ، وهو يجيب :

— إلى أين في تصوُّرك ..؟ إلى (إسرائيل) بالطبع .

هتف (عصام) :

— (إسرائيل) ؟

عقد الرجل حاجبيه ، وهو يخلص النظر إليه في اهتمام ،

قائلاً :

— ماذا ..؟ هل أقلقك ذلك كثيراً ؟

سيطر (عصام) على مشاعره ، وهزَّ كفيه في هدوء ،
قائلاً :

— لماذا ؟ .. إنها دولة كائنة دولة .

هتف الرجل في صرامة :

— بل هي أفضل من أيَّة دولة أخرى .

ابتسم (عصام) في سُخرية ، وهو يقول :

— القرد في عين أمه

سأله السائق في خشونة :

— ماذا تقول ؟

أطلق (عصام) ضحكة قصيرة خافتة ، قبل أن يقول :

— لا شيء .. إنما كنت أرصد أحد الأمثال الشعبية المصرية .

عقد الرجل حاجبيه في غضب ، وأشاح بوجهه ، قائلاً في

غلظة :

— لا بأس .. لقد وصلنا .

أدار (عصام) عينيه إلى قصر (رولان) الضخم ، وهتف

هاتف في أعماقه ، بكل مايملاء نفسه من خوف وقلق ، وكل

ماينتظره من ظلام ومخاطر ومجهول :

— نعم .. لقد وصلنا ..

استقبل (رولان) (عصام) في ثرحاب ، وابتم ابتسامه واسعة ، وهو يصفحه في حرارة ، قائلاً :

— مرحباً يامسيو (عصام) .. مرحباً .. كم تسعدني رؤيتك هذه المرة .. لقد أثبتت تفوقاً ملحوظاً طوال الأشهر الثلاثة الماضية .

ابتسم (عصام) ، وهو يتقمص ذلك الدور ، الذي رسمه له (عادل) ، قائلاً :

— ألا يستحق هذا مكافأة إضافية ؟

أطلق (رولان) ضحكة عالية ، وهو يقول :

— بالتأكيد .

ثم أخرج من جيب سترته ، حافظة متخمة بأوراق النقد ، قائلاً :

— كم تريد يامسيو (عصام) ؟

أجابه (عصام) في هدوء :

— بكم تقوم عمل هذه المرة ؟

أطلق (رولان) ضحكة عالية ، وقال :

— بكثير .. لقد كانت المعلومات العسكرية الأخيرة رائعة .

ثم مال نحوه ، مستطرداً في اهتمام :

— كيف حصلت عليها يا ترى ؟

ابتسم (عصام) في لحث ، وهو يقول :

— هل تطلب مني كشف مصادري ؟

فهمه (رولان) ضاحكاً مرة أخرى ، قبل أن يردف :

— كلا .. لن أطلبك بذلك .

وتناول من حافظته بضع أوراق مالية ، تناولها

له (عصام) ، قائلاً :

— هل تكفي هذه ؟

مطأ (عصام) شقيقه ، مغمغماً :

— مؤقلاً .

ودس المبلغ في جيبه ، و (رولان) يتابعه ببصره في اهتمام

بالغ ، قبل أن يسأله :

— هل يروق لك العمل معنا يامسيو (عصام) ؟

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

— بالتأكيد .. إنكم تدفعون في سخاء .. إنني لم أكن

أتصور العمل مع وكالات الأنباء مربحاً إلى هذا الحد .

ارتسمت على شفتي (رولان) ابتسامة خبيثة ، وهو
يغمغم :

— ومن قال إنه كذلك ؟

تطلع إليه (عصام) في دهشة مصطنعة ، وهو يقول :
— ماذا تعني ؟ .. أأحصل على مكافآت خاصة ،
أم

قاطعه (رولان) ، قائلاً :

— إنك تحصل على مكافآت خاصة بالطبع ، ولكنها ليست
من وكالة الأنباء .

يغمغم (عصام) في ارتباك حقيقي :

— من أين إذن ؟

عادت تلك الابتسامة الخبيثة ترسم على شفتي
(رولان) ، وهو يقول :

— ليس الآن يا عزيزي .. لانتعجل كل الأجوبة بفضول
الصحفي .. سأخبرك بعد تناول العشاء ، وبعد أن يقدم لك
خادمي الجديد (أندريه) قهوته الخاصة .

وأشار إلى شاب هادئ ، يحمل الملاح الفرنسية التقليدية ،
ويقف هادئاً ، أنيقاً في ركن البهو ، فالتفت الشاب إلى خادم



وتناول من حافظته بضع أوراق مالية ، ناولها لـ (عصام) ، قائلاً :

— هل تكفي هذه ؟

زنجي ، قدّم إليه صينية من الذهب ، استقرّ فوقها قدحان من
القهوة ، وتقدّم بها نحو (عصام) ، وانحنى أمامه في احترام ،
مغممًا :

— قهوتك يا ميسو .

مدّ (عصام) يده ليتناول قدح القهوة ، وهو يذلّ جهذاً
خرافياً ، للسيطرة على أصابعه ، التي تصرّ على الارتجاف في
قوة ، تجرّد شعوره بأنه هنا ، في قصر (رولان) ، ووسط
رجال هذا الأخير ، وحده ، بلامعين ، وأن أي خطأ منه ، قد
يغني قلبه على الفور ، بلا رحمة أو شفقة ..

وفجأة ، ارتجف جسد (عصام) كله ، ودوّت في رأسه
عبارة (عادل) قوية ، وكأنه يسمعها من بين شفثيه مباشرة :
— مستجدنا دائماً إلى جوارك .. دائماً .

فأمام عينيه مباشرة ، كان (أندريه) يتسم ، وبين أسنانه
استقرّ زرّ صغير ، يحمل علم (مصر) ، وهو يهمس في هدوء ،
بلهجة مصرية خالصة :

— إنك تفضلها قليلة السكر .. أليس كذلك ؟

لقد كان (أندريه) هذا مصرئاً ..

لقد تسلّل رجالنا إلى قلب قصر (رولان) ..

وهنا شعر (عصام) بثقة هائلة تسري في عروقه ، وبارتياع
لامثيل له .

وفي هدوء ، تناول قدح القهوة ، والتفت إلى (رولان) ،
قائلاً :

— قل لي يا ميسو (رولان) .. ما الذي أعجبك في
تقريرى العسكري الأخير ..
وكانت كلماته كلها تنطق بالثقة ..
ثقة بلا حدود ..

شارك (عصام) (رولان) طعام العشاء ، دون أن يلمح
الزوال (ريمون) ، فسأل (رولان) ، بعد أن انتقلا إلى حجرة
مكتب هذا الأخير :

— كيف حال ميسو (ريمون) ؟ .. إننى لم أره منذ
جئت .

غمغم (رولان) في هدوء :

— إنه ليس هنا .. لقد سافر إلى الوطن .

هتف (عصام) في دهشة :

— الوطن !؟ .. أليست (فرنسا) وطنه ؟

هز (رولان) كفيه ، قائلاً في حزم :

— كلاً .. إنه مثلي .. فرنسي المولد والاسم فحسب .

تظاهر (عصام) بالبساطة والسذاجة ، وهو يسأله :

— ماموطنكما الحقيقي إذن ؟

صمت (رولان) لحظات ، قبل أن يقول ، متجاهلاً

سؤال (عصام) تماماً :

— هل تكفيك المكافأة ، التي تحصل عليها يامسيو

(عصام) ؟

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

— إلى حدّ ما .

تأمله (رولان) في هدوء ، قبل أن يضيف :

— أيقظك كثيراً لحساب من تعمل ، مقابل ضعف هذا

البلغ ؟

أطلق (عصام) ، من بين شفتيه ، صفيراً طويلاً ، يشفّ

عن الانبهار ، قبل أن يتف :

— يُقلّني ؟! .. إنني أعمل لحساب الشيطان نفسه يامسيو

(رولان) مقابل ضعف هذا البالغ .

ارتسمت ابتسامة زهو على شفتي (رولان) ، وهو

يقول :

— بل ستعمل لحساب من هم أقوى من الشيطان يامسيو

(عصام) .

واعتدل ، ناصباً قامته في اعتداد ، وقائلاً في حزم :

— ستعمل لحساب (الموساد) ..

هتف (عصام) في دهشة ، بذل جهداً هائلاً لافعالها :

— (الموساد) ؟!

أجابه (رولان) في صرامة .

— نعم يامسيو (عصام) .. ستعمل لحساب

(إسرائيل) .. لحسابها مباشرة .



٩ — حلقة النيران ..

جلس (إبراهيم) و (عادل) ، في مكتب هذا الأخير ، أمام ورقة كبيرة ، حلت كل الاحتمالات الممكنة ، للعرض من طلب سفر (عصام) إلى (باريس) ، وهما يشطبان كل احتمال ، يبدو غير منطقي ، حتى تبقى أمامهما احتمال واحد ، أشار إليه (عادل) ، قائلاً :

— هذا هو الاحتمال المنطقي الوحيد الباقي ، بعد مناقشة كل الاحتمالات الأخرى ، واستبعادها .
غمغم (إبراهيم) :

— إنه يبدو لي كذلك منذ البداية .

تنهّد (عادل) ، وقال :

— هذا يعني أنهم سيواجهون (عصام) بالحقيقة مباشرة هذه المرة .

غمغم (إبراهيم) :

— أظن ذلك .

نقر (عادل) بأصابعه على سطح مكتبه في توثر ، قبل أن يغمغم :

— وهذا يعني أنهم سيتقلون بـ (عصام) إلى مرحلة جديدة .

قال (إبراهيم) :

— بالتأكيد .

زفر (عادل) في عمق ، وقال :

— وهذا يعني أن (عصام) سيحتاج إلى كل معاونة ممكنة من جانبنا .

قال (إبراهيم) في اهتمام :

— (سليمان) هناك ، في شخصية (أندريه) .

هزّ (عادل) رأسه نفياً ، وقال :

— (سليمان) لن يكفي وحده .. الأمر يحتاج إلى نوع من التعاون ، بينا وبين المخابرات العامة .

سأله (إبراهيم) في دهشة :

— لماذا؟ .. إننا نقود العملية كلها وحدنا حتى الآن ، ولن يروق للسيد المدير تسليمها للمخابرات العامة هكذا .

عقد (عادل) حاجبيه ، وهو يغمغم :

— في هذه الحالة ينبغي أن أستعد بنفسى ، للعب دور معقّد للغاية .

هتف (إبراهيم) في خيرة :

— لماذا كل هذا ؟

التفت إليه (عادل) ، قائلاً في حزم :

— لأنه لو كان استأجنا صحيفاً ، فسيفنى هذا أنه من
الضرورى أن يتلقى (عصام) عدّة تدريبات جديدة ،
ويتعرض لعدد من الاختبارات الأكثر تعقيداً ، وهذا لن يتم في
(باريس) بالتأكيد .

سأله (إبراهيم) في دهشة :

— أين إذن ؟

التفت إليه (عادل) ، وبدأ صوته حازماً ، وهو يقول :

— تخمن ..

ظلّ (عصام) يتصنّع الدهشة طويلاً ، وهو يحدّق في وجه
(رولان) ، بعد أن أطلق هذا الأخير تصريحه الخيف ، حتى
ابتسم (رولان) في ظفر ، قائلاً :

— ماذا أصابك يا عزيزى (عصام) ؟ .. هل أدهشك

تصريحى إلى هذا الحد ؟

غمغم (عصام) في لحفوت ، وهو ينفض عنه أمارات
الدهشة :

— ليس إلى هذا الحد ..

ثم رفع عينيه إلى (رولان) ، مستطرداً في حزم :

— لقد كنت أتوقع ذلك إلى حدّ ما .

عقد (رولان) حاجبيه ، وكأنما لم تُرق له عبارة (عصام)
الأخيرة ، وهو يقول في جدّة :

— منذ متى ؟

تنهّد (عصام) ، مغمغماً :

— منذ البداية تقريباً .

مطّ (رولان) شففيه ، وهو يقول :

— ومع ذلك قبلت العمل معنا ؟

هزّ (عصام) كتفيه ، وقال :

— كان المبلغ جيّداً ، وكانت مجرد شكوك .

تأثقت عينا (رولان) ، وهو يقول :

— والآن ؟

عاد (عصام) يهزّ كتفيه ، مغمغماً :

— لست أدرى .. إننى لا أجد فارقاً كبيراً في الواقع .

وصمت لحظة ، ثم استدرّك في حزم :

— هذا لو أنك ستضاعف المرتب بالطبع .

ابتسم (رولان) في ظفر ، وهو يقول :

— بالتأكيد .. إنك لن تندم على العمل معنا أبداً .

تنهد (عصام) في عمق ، وقال :

— إذن فكل هذا .. وكالة الأنباء والقصر ، و....

قاطعه (رولان) مبتسماً :

— كل هذا يتبع (الموساد) .

سأله (عصام) في اهتمام :

— وهل يعلم المصريون ذلك ؟

هتف (رولان) في استنكار :

— كلاً بالطبع .. المصريون يعلمون فقط ، ما نرغب نحن

في تعريفهم إيَّاه .

ابتسم (عصام) في سخرية ، وهو يقول :

— وماذا عن خداعهم لكم في حرب أكتوبر ؟

لوح (رولان) بكفه ، هاتفاً في سُخط :

— كان هذا بمعاونة المخابرات السوفيتية .

رفع (عصام) حاجبيه في دهشة مصطعمة ، هاتفاً :

— هكذا ؟!

هتف (رولان) في حدة :

— بالتأكيد ... لا يمكن أن يهزنا المصريون وحدهم .

ثم اتجه نحو البار الصغير في مكعبه ، وصَبَّ لنفسه كأساً من

الحمر في عصيَّة ، والتفت إلى (عصام) ، قائلاً :

— أما زلت ترفض تناول الحمر ؟

أوماً (عصام) برأسه إيجاباً ، وهو يتسم ، قائلاً :

— إنها مسألة مبدأ .

جرع (رولان) كأسه دفعةً واحدة ، ومسح شففيه بكفه ،

قبل أن يقول :

— الأمر الآن لم يُعد بنفس البساطة ، التي سار عليها ،

طوال الشهور الثلاثة الماضية .. إنك ستعمل لحسابنا ، على نحو

صریح ، وهذا يعني أن تعلم الكثير من أسرارنا وخبايانا ، وتحوز

أكثر من خبرة ومهارة ، وهذا يعني بدوره مزيداً من التدريبات

والاختبارات .

هزَّ (عصام) كتفيه ، قائلاً :

— أنا على أتم استعداد .

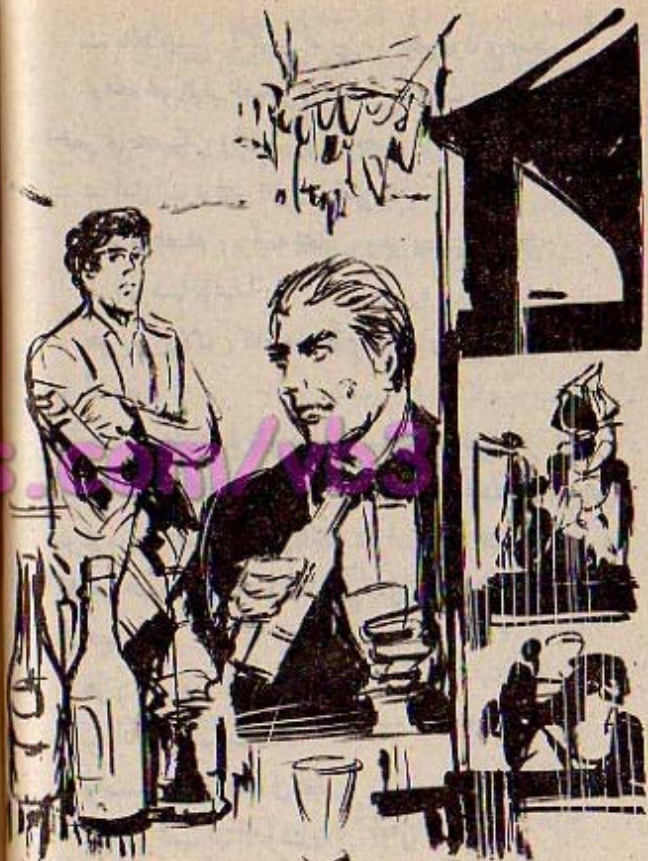
وابتسم وهو يردف في ثقة :

— متى تحب أن أبدأ ذلك ؟ .. الآن ؟

هَزَّ (رولان) رأسه نقيًا ، وقال :
 — كَلَّا .. ليس الآن .. فهذه التدريبات لن تم هنا .
 سأله (عصام) في هدوء :
 — أين إذن ؟
 صَبَّ (رولان) ، لنفسه كأسًا أخرى ، وهو يقول في
 هدوء :

— في الوطن .
 ثم التفت إلى (عصام) .. مستطرذا في حزم :
 — في (إسرائيل) ..

www.liilas.com



ثم اتجه نحو البار الصغير في مكتبه ، وصَبَّ لنفسه كأسًا من الخمر في عصبية ،
 والتفت إلى (عصام) ..

١٠ — ناقوس الخطر ..

« إسرائيل ؟ .. » ..

هتف (إبراهيم) بتلك الكلمة ، وهو يحذق في وجه
(عادل) في دهشة ، قبل أن يستطرد في استكار :
— مستحيل يا (عادل) ! ! .. ليس من السهل أن يرسلوه
إلى هناك هكذا ! ! .

سأله (عادل) في حسم :

— لماذا يا (إبراهيم) ؟ .. لو أنهم صارحوه بطبيعتهم ،
فستغنى هذا أنه إما أن ينقل إلى مرحلة جديدة ، أو يتم
إعدامه ، وأنت تعلم مثل أنه سيقبل الانتقال إلى تلك المرحلة
الجديدة ، لأن هذا ما أعذذناه له ، ولقد سبق أن تناقشنا ، في أن
تلك المرحلة الجديدة تحتاج إلى مزيد من التدريبات
والاختبارات ، ومن المحتم أن يتم ذلك في (تل أبيب) نفسها .
انتهى (عادل) من حديثه ، قرآن على الحجرة صمت
رهيب ، قطعه (إبراهيم) ، وهو يغمغم في انفعال :
— هذا يبذل الكثير من الأمور .

وافقه (عادل) بإيماءة من رأسه ، وأضاف :

— ويضع (عصام) في موقف شديد الحساسية والخطورة
أيضاً :

عاد ذلك الصمت الرهيب يلف الحجرة مرة أخرى ، قبل
أن يضيف (عادل) في حزم :
— ينبغي أن أسافر الآن إلى (باريس) .
غمغم (إبراهيم) في توثر :
— لا توجد طائرات إلى (باريس) الآن .
تطلع (عادل) إلى ساعته ، وقال :

— توجد طائرة إلى (روما) ، بعد ساعتين ، ومن
(روما) يمكنني أن استقل طائرة الرابعة صباحاً إلى
(باريس) .

وزفر في عمق ، قبل أن يستطرد :

— المهم أن أصل إلى باريس ، أيّا كان الثمن
يا (إبراهيم) ، فلقد دخلت اللعبة منعطفاً جديداً ودق
ناقوس الخطر ..

لم يكن (عصام) يتوَقَّع عملية السفر إلى (إسرائيل) هذه
أبدًا ، لذا فقد كانت دهشته هذه المرأة حقيقية ، وهو يحذق في
وجه (رولان) ، الذى ابتسم في لحث ، وقال في هدوء :

— هل أدهشك ذلك كثيرًا ؟

وجد (عصام) نفسه يتف :

— جدًا .

اتسعت ابتسامته (رولان) ، وقال في لهجة مسرحية :

— لماذا يا عزيزى ؟ .. إنك كما سبق أن قلنا ، تحتاج إلى

تدريبات مكثفة ، ولن تجدها إلا عند الخبراء هناك .

غمغم (عصام) ، وقد بدأ يسيطر على هدوئه وأعصابه :

— بالتأكيد .

صمت لحظة ، التقط خلالها نفسًا عميقًا ، ليسيطر على تلك

الارتجافة ، التى سَرت في جسده قوية ، قبل أن يقول :

— وكَم ستستغرق رحلتى إلى هناك ؟

تأملَه (رولان) في إمعان ، وهو يحجب :

— حوالى الأسبوعين .

أومأ (عصام) برأسه متفهِّمًا ، وقال في هدوء :

— لا بأس .. سأعود إلى (القاهرة) ، وأنهى بعض

التزاماتى ، ثم أعود إلى هنا ، و.....

قاطعه (رولان) في لهجة بالغة الصرامة :

— إنك لن تغادر هذا القصر ، إلا إلى (إسرائيل) مباشرةً

يا ميسو (عصام) .

مرَّة أخرى شعر (عصام) بمزج من الدهشة والدُّعر ،

وهو يتف في احتجاج :

— كلاً يا ميسو (رولان) .. كان ينبغي أن تخبرنى بذلك ،

قبل أن آتى إلى هنا .

مطَّ (رولان) شفثيه ، وهو يقول في بُرود :

— وما الفارق ؟

هتف (عصام) :

— الفارق هو أننى قد حصلت على إجازة من عملى لأسبوع

واحد ، ولو تجاوزتها فأسألتُ للعرض للفصل ، ثم إنه من غير المنطقى

أن يحمل جواز سفرى تأشيرتى دخول وخروج إلى ومن

(إسرائيل) !

ابتسم (رولان) في لحث ، وهو يقول :

— لا تقلق بشأن عملى ، ففَتِيل موعِد انتهاء إجازتك يوم

واحد ، ستحدث عملية إرهابية هنا ، وستعمل أنت على تغطيتها

لمدة أسبوع آخر ، وسترسل تقاريرك إلى الصحيفة يومياً .

هتف (عصام) في جَزَع :

— ماذا تعني ؟!.. ألن أكون في تلك الأثناء في؟

قاطعته في حزم :

— لا شأن لك بالتفاصيل ، فهذا ما سيحدث فحسب .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول :

— وماذا عن تأشيرتي (إسرائيل) ؟

مط (رولان) شففيه ، وهز كتفيه ، قائلاً :

— لست أدري لماذا يقلقك ذلك ؟.. لقد انتهت حالة

الحرب بيننا وبينكم رسميًا ، و.....

قاطعته (عصام) هذه المرة في جَدَّة :

— اسمع يامسيو (رولان) .. أنت تعلم أن معاهدة

السلام بيننا لم تلغ كراهِيتنا لكم بعد ، بسبب إصراركم على

انتهاك كل الأعراف والمواثيق الدولية ، واستمراركم في سياسة

الاحتلال والعدوان ، و.....

هتف (رولان) في حَقَق :

— أهي محاضرة سياسية ؟

أجابه (عصام) في حزم :

— إنني أنقل لك وجهة نظر المواطن المصري العادي ..

أورجل الشارع ، كما تسميه الجهات السياسية .

هتف (رولان) في غضب :

— وما شأنك أنت برجل الشارع ؟

هز (عصام) كتفيه ، وابتسم في سُخرية ، وهو يقول :

— إنها مهنتي .. أنسيت أنني صحفي ؟

لوح (رولان) بذراعه في حَقَق ، صائحًا :

— حسنًا .. حسنًا .. فلننه ذلك النقاش السخيف ، ويكفي

أن تعلم أنك لن تحصل على تأشيرة دخول إلى (إسرائيل) .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول :

— كيف سأدخلها إذن ؟

أجابه (رولان) في عصيَّة :

— سيصحبك (ريمون) إلى هناك ، وستحمل جواز مرور

فحسب .

زأ الصمت لحظات ، ثم غمغم (عصام) :

— يبدو أنكم قد أعددتُم كل شيء .

أوما (رولان) برأسه إيجابًا ، وقال :

— نعم .. كل شيء .

وارتشف رشقة من كأس الخمر ، التي يحملها بين أصابعه ،

ثم أضاف في حزم :

— حتى أسلوب خروجك من هنا ، دون أن يلاحظ أحد ذلك .

توثر عضلات وجه (عصام) ، وهو يتمم :
— وماذا تغني بذلك ؟

زفر (رولان) في عمق ، وقال :

— لقد رأينا أنه من الأفضل أن نتقل ، من هنا إلى المطار ،
على نحو بالغ السرية ، حتى لا يعلم أى مخلوق أنك قد غادرت
القصر ، حتى الخدم ؛ لذا فقد اتخذنا احتياطاتنا اللازمة .
هتف (عصام) في توثر :

— كيف ؟

ألقى (رولان) إليه نظرة باردة ، وأشعل سيجاراً في
هدوء ، ونفث دخانه في عمق مرتين ، قبل أن يقول :

— هناك نفق سرى ، يمتد من قبو القصر ، وحتى فندق
صغير ، في أرقى شوارع (باريس) ، وغداً ، مع أول خيوط
الفجر ، سنعبّر ذلك النفق ، إلى الفندق ، حيث ستنتظرنا
سيارة خاصة ، تنقلنا على الفور إلى المطار ، وهناك سنجد
(ريمون) في انتظارنا ، لينقلك إلى (إسرائيل) .

شحب وجه (عصام) ، وهو يغتمغم :

— غذا في الفجر .

امتلاً وجه (رولان) كله بابتسامة ضخمة ، وهو يقول في
برود :

نعم .. غذا مع الفجر .

زان الصمت تماماً على الحجرة ، بعد عبارته ، حتى لقد
لحى ل (عصام) أن نبضات قلبه قد صارت مسموعة ، قبل أن
يرتجف جسده كله ، على صوت طرقات هادئة ، على باب
الحجرة ، أعقبها صوت (رولان) ، وهو يقول :

— من ؟

أتاه صوت فرنسى هادئ ، يقول :

— (أندريه) ياسيدى .. أسأل ما إذا كنتم بحاجة إلى
شيء .

حقق قلب (عصام) في قوة ، وأسرع يقول في لهفة :

— نعم .. قل له إننى أريد كوباً من الماء المثلج .

ألقى (رولان) الأمر إلى (سليمان) ، ثم لسم تمض
لحظات ، حتى دلف هذا الأخير إلى الحجرة ، واتجه بكوب الماء
المثلج إلى (عصام) ، وانحنى أمامه في احترام ، قائلاً :

— الماء يامسيو .

مال (عصام) غوه ، وكأنه يلتقط الماء ، وهمس في
انفعال :

— سيرسلوننى إلى (إسرائيل) فجر الغد .. أبلغ العقيد
(عادل محمود) بأى ثمن .

لم يُبذله أن (سليمان) قد سمع كلمة واحدة ، أو فهم حرفاً
واحداً ، فقد بدت ملامحه هادئة ، جامدة ، وهو ينحنى مرة
أخرى ، ثم يعتدل ، منتظراً انتهاء (عصام) من تناول الماء ..
وفى تؤثر بالغ ، وبأصابع مرتجفة للغاية ، جرع (عصام)
قدح الماء ، وأعادته إلى (سليمان) ، الذى عاد ينحنى ،
مغمغماً :

— هيناً ياسيدى .

وغادر المكان فى هدوء ، تاركاً (عصام) خلفه فى ذِوَرَةِ
الانفعال ..

وذِوَرَةِ الدُّعْرِ ..



١١ — الرَّحْلَةُ ..

كانت رحلة (عادل محمود) ، إلى (باريس) ، شاقّة
ل للغاية ..

لقد هبطت به الطائرة ، فى مطار (روما) ، فى منتصف
الليل تقريباً ، حيث استقلّ طائرة أخرى إلى (مارسييا) ،
ومن هناك حملته سيارة خاصة إلى (باريس) ، فوصلها فى الثالثة
والنصف صباحاً ، مُتِهَكاً ، متهاكاً ، وعلى الرغم من ذلك ،
فلم يكذب يخطئ رجالة هناك ، حتى سأل أحد رجاله فى اهتمام :

— ما آخر أخبار (عصام) ؟

أجابه الرجل فى تؤثر :

— لا أخبار .. منذ دخوله إلى قصر (رولان) ، لم نعلم أى

جديد على الإطلاق .

سأله (عادل) فى قلق :

— وماذا عن (سليمان) ؟

أجابه الرجل :

— المفروض أن يغادر القصر بعد لحظات ، فنوبة عمله

تنتهى فى الثالثة والنصف .

فرك (عادل) أصابعه في توثر ، وهو يقول :

— لا ريب أنه يحمل أخبارًا .

وشرد ببصره لحظات ، قبل أن يردف :

— إنه وسيلتا الوحيدة ، لمعرفة أخبار (عصام) ،

وحمايته .

كانت الحجرة ، التي أعدها (رولان) لميت (عصام) ،

فاخرة بمعنى الكلمة ، تحوى كل ما يحلم به المرء ، إلا أنها بدت

لـ (عصام) أشبه بزنزانة سجن انفرادي ، منهم ينتظر موعد

تنفيذ حكم الإعدام فيه ..

ومنذ أوى إلى فراشه ، في منتصف الليل تقريبًا ، لم يغمض

له جفن ..

كان يتقلب كالحُموم ، وهو يتساءل :

— هل سمعه (أندريه) وفهمه ١٢ ..

وكان هذا السؤال يُقلقه في شدة ، إذ كانت حياته كلها

تتوقف على معرفة جوابه ..

إنهم سيحملونه فجرًا إلى (تل أبيب) ، حيث يصبح في

قبضتهم تمامًا ، ويمكنهم أن يفعلوا به ما يشاءون ..

هل كشفوا أمره يا ترى ١٢

هل يقدرونه إلى فتح ٢ ..

كلًا ..

هذا غير منطقي ..

إنهم — كما قال (عادل) — يمكنهم قتله هنا ، دون أن يشعر

به مخلوق واحد ، ولا حاجة لهم بنقله إلى هناك ..

إنهم مازالوا يثقون به بالتأكيد ..

ولكن ينبغي أن يعلم (عادل) ، أنهم سيأخذونه إلى

(إسرائيل) ..

من الضروري أن يعلم ..

ولكن كيف ٢ ..

كيف ١٢ ..

وفجأة ، توثرت عضلاته كلها ، وتحفّزت ، مع صوت

خافت ، صدر من موضع النافذة ..

وعلى ضوء القمر الخافت ، رأى (عصام) رجلًا ، يعث

بمزلاج النافذة من الخارج ، فحقق قلبه في غنف ، وهب من

فراشه ، وراح يبحث عن سلاح يدافع به عن نفسه ..



وعلى ضوء القمر الخافت ، رأى (عصام) رجلاً ، يبحث بمزلاج النافذة من
الخارج ، فحقق قلبه في غنف ، وهب من فراشه ..

وفجأة ، انفتحت النافذة ، وقفز جسد رشيق إلى
الداخل ، وأسرع يُغلق النافذة خلفه ..

وبسرعة انقضَّ عليه (عصام) ، وأحاط غنقه بذراعه في
غنف ، وهو يقول في صرامة :

— من أنت ؟ ولماذا تتسلَّل إلى هنا ؟

هتف به المتسلَّل ، في صوت خافت مختق ، وبلهجة مصرية
خالصة :

— رُوَيْدَكَ يا (عصام) .. إنه أنا .. (أندريه) :

تركه (عصام) في سرعة ، وتشبَّث به ، هاتفاً :

— أنت ؟! ألم ترحل بعد ؟! ألم تحير (عادل) ؟

رَبَّتْ (سليمان) على كفه ، قائلاً في حزم :

— مهلاً .. من الواضح أن هؤلاء الأوغاد يتخذون أقصى

أساليب الخِطَّة والحذر هذه المرة ، فلقد كان من المفروض أن

أنصرف ، منذ ربع الساعة ، إلا أنهم رفضوا انصراف كل طاقم

الخدم تماماً ، قبل صباح الغد .

هتف (عصام) في دُعر :

— يا إلهي !! هذا يغني أنهم قد أحكموا الحصار تماماً .

عقد (سليمان) حاجبيه ، وهو يقول :

— ليس تمامًا .. هناك وسيلة لإبلاغ الأمر بالتأكيد .

هاتف (عصام) في يأس :

— كيف ؟

ثم عاوده الأمل بغتة ، فنبشَّث به ، هاتفًا :

— أيمكنك الاتصال بالسفارة المصرية هاتفياً ؟

هزَّ (سليمان) رأسه نفياً ، وقال :

— هذا مستحيل .. كل أجهزة الهاتف هنا متصلة برقابة

مركزية :

وصمت لحظة ، ثم أضاف في حزم :

— من الضروري أن أحاول الخروج من هنا ، مهما كان

الثمن .

ارتجف (عصام) ، وقال :

— كيف ؟

رَبَّتْ (سليمان) على كتفه ، وقال :

— دَعْ لي هذه المهمة .. المهم أن تسيطر أنت على مخاوفك ،

ولمَّا عقلتك مبدأً واحداً ..

صمت لحظة ، قبل أن يردف في حزم :

— أنك تفعل هذا من أجل (مصر) .

كان لهذه العبارة مفعول السحر في قلب (عصام) ..

لقد أزاحت منه فجأة كل الخوف والتوتر والقلق ..

ومالته بنوع من الطمأنينة والارتياح ..

وفي هدوء عجيب ، وصوت اختلطت صلابته بقوته ، قال

(عصام) :

— كل شيء يَهْوَن ، من أجل (مصر) .

ابتسم (سليمان) في ارتياح ، وهو يقول :

— أحسنت .

ثم دفع مزلاج النافذة ، وقفز واقفاً على حافتها ، وهو

يضيف في هدوء :

— وتذكَّرْ دَوْماً ، أنه مهما حدث ، ومهما كانت نتائج

محاولتي ، فلن تكون في (إسرائيل) وحدك .

ابتسم (عصام) في هدوء ، وهو يقول :

— أعلم ذلك .

وقفز (سليمان) خارج النافذة ، وأغلقها (عصام) خلفه

في هدوء ، ثم اتجه إلى فراشه ، ونام ..

نام في عمق شديد ..

سار (سليمان) في حذر ، على الإفريز الخارجي لنوافذ
القصر ، حتى بلغ ماسورة معدنية غليظة ، فعلق بها ، وهبط في
سرعة ورشاقة إلى حديقة القصر ..

وحبس (سليمان) أنفاسه تمامًا ، وهو يتلفت حوله في
حذر ، ليتأكد من عدم وجود أحد الحراس إلى جواره ، قبل أن
يتطلع إلى سور القصر ..

كان السور يبعد عنه بما لا يزيد على عشرة أمتار ، يمكنه
قطعها ركضًا في خمس ثوانٍ فحسب ؛ لذا فقد التقط نفسًا
عميقًا ، واندفع نحو السور ، بكل ما يملك من قوة ..

وفجأة ، سطعت الأضواء في الحديقة ..
سطعت على نحو مباغت ، أربك (سليمان) ، وسمره في
مكانه ، قبل أن يرتفع صوت ساخر يقول :

— (أندريه) ١٢ .. ماذا تفعل في الحديقة يا رجل ؟
تلقت (سليمان) حوله في حذر ، ورأى أربعة من رجال
(رولان) يحيطون به ، ويصوبون إليه مدافعهم الآلية ، فهتف
في توثر ، بفرنسية لا يرقى إليها الشك :

— لا بد لي من العودة إلى منزلي ياميسو .. أبنائي
ينتظرونني ، وزوجتي لا تعلم أنني سأبقى هنا .
أطلق (يائيل) ، ذلك السائق الغليظ ، ضحكة ساخرة ،

وقال :

— هكذا؟! يالك من عاطفي مرهف الحس يا عزيزي
(أندريه) .

هتف (سليمان) في صرامة :

— لا بد لي من العودة .

لم يكذب يتم عبارته ، حتى انقضت عليه الرجال الثلاثة
الآخرون فجأة ، فمال برأسه بحركة غريزية ، متفادياً لكمة
أحدهم ، وغاص إلى أسفل ، متفادياً لكمة آخر ، ثم هوى
يُمناه على معدة الثالث ، ويسراه على فك الأول ، وتراجع في
حركة حاذة ، و.....

وهوى على مؤخرة عنقه فجأة ، كعب بندقية (يائيل) ...
وترنح (سليمان) ، وحاول أن يقاوم الدوار ، ليم
مهمته ، إلا أن جسده استسلم تمامًا ، فهوى فاقد الوعي ..

وفي خشونة ، قال (يائيل) :

— احملوه إلى الداخل .. وانتظروا حتى يستعيد وعيه ، ثم
اعملوا على استجوابه .. ينبغي أن نعلم من هو ، وما الذي كان
يفعله خارجًا ؟

هيا .. سأنتزع مالهديه من معلومات ، حتى ولو قطعت
أطرافه طرفًا طرفًا .. هيا ..

١٢ - إلى وكر الأفاعى ..

تطلّع (عادل) ، فى قلق بالغ ، إلى ساعته ، التى أشارت عقاربها إلى الرابعة والنصف صباحاً ، وقال فى توثر :
— لماذا لم يُعدّ (سليمان) حتى الآن ؟

أجابه أحد رجاله :

— لست أدرى .. ولكن

تردّد الرجل لحظة ، فهتف به (عادل) فى جدّة :

— ولكن ماذا ؟

أجابه الرجل :

— يقول رجالنا ، الذين يراقبون قصر (رولان) ، إن أعضاء الحديقة قد سطعت فجأة ، منذ ما يقرب من نصف الساعة ، وأن معركة سريعة قد دارت داخلها ، ثم هدا كل شيء تماماً .

هتف (عادل) فى جزع :

— أئغنى أنهم قد كشفوا أمر (سليمان) ؟

غمغم الرجل :

— أو (عصام) .

أضاف (عادل) فى قلق :

— أو كشفوا أمرهما معاً .

وصمت لحظات مفكراً ، ثم قال فى حزم :

— اسمع .. من الواضح أن الأمور تجري فى سرعة بالغة هذه المرة ، وينبغى لنا أن نواكب السرعة ، أو نخسر المعركة . سأله الرجل فى حماس :

— بيم تأمر ؟

أجابه (عادل) فى حزم :

— سنراقب كل الأماكن ، التى ترتبط بـ (رولان

روجه) ، أو بـ (الموساد) عامة ، وستركّز جهودنا حول

البحث عن (عصام) ، وعندما نجده ، سنكثف مراقبتنا له .

تردّد الرجل لحظة ، ثم غمغم :

— وماذا لو لم نجده ؟

صمت (عادل) ، وارتسم الحزن على ملامحه ، وهو

يقول :

— فى هذه الحالة نكون قد فقدناه .. فقدناه إلى الأبد ..

أيقظ رجال (رولان) (عصام) في الرابعة والنصف
تمامًا ، فنهض من فراشه مترنحًا ، وأسرع يخلق ذهنه ،
ويستحم ، ثم هبط إلى بهو القصر ، في تمام الخامسة ، حيث
وجد (رولان) في انتظاره ، متأثقا ، مبتسما ، وهو يقول في
هدوء :

— صباح الخير يامسيو (عصام) .. هل نبدا رحلتنا ؟
ابتسم (عصام) في هدوء ، وهو يقول :
— هيا بنا .

قاده (رولان) إلى ذلك المصعد ، الذي يشبه حجرة
صغيرة ، حيث هبطا معا إلى قاعة التدريبات ، وهناك فصح
(رولان) بابا سرّيا ، وهو يشير إلى سيارة حديثة ، تستقر
داخله ، قائلا :

— هذا هو الطريق إلى الفندق .

دلف الاثنان إلى السيارة ، وقادها (رولان) عبر ممر
طويل ، انتهى بهما في قاعة أخرى واسعة ، تفود إلى حجرة
مصعد صغيرة ، حملتهما إلى الفندق ..

إلى تلك الحجرة ، التي اعتاد (ريمون) مقابلة (رولان) بها ..
وابتسم (رولان) في هدوء ، وهو يقول :

— السيارة تنتظرك يامسيو (عصام) .
ابتسم (عصام) بدوّره ، وهو يقول :
— هيا بنا إذن .

هبطا إلى حيث تنتظر السيارة ، وأشار (رولان) إلى
(عصام) بركوبها ، إلى جوار السائق ، ومال نحوه ، قائلا في
هدوء :

— هنا تنهى مهمتي ، وتبدأ مهمة (ريمون) .. ستجده في
انتظارك في المطار ، حاملا جوازي سفركما ، وكل الأوراق
اللازمة .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول في توتر :

— أَلَمْ تَقُلْ إِنِّي لَنْ أَسَافِرَ بِجَوَازِ سَفَرِ مِصْرِي ؟

أجاب (رولان) في سُخرية :

— ومن قال إنك ستفعل ؟ .. إنه جواز سفر إسرائيل ،

يحمل صورتك ، واسمك الجديد .. (موسى بن صهيون) .

تطلّع إليه (عصام) في بُرود ، وغمغم :

— إلى اللقاء .. لو أننا سنلتقي ثانية .

ابتسم (رولان) ابتسامة غامضة ، وقال وهو يعتدل :
— إلى اللقاء يامسيو (موسى) .. إلى اللقاء ..
وانطلقت السيارة نحو مطار (أورلي) ..

استقبل (ريمون) (عصام) في المطار ، بنفس الملامح
الباردة ، والحاجبين الكثين المتعدين ، وهو يقول :
— اسمك منذ الآن (موسى بن صهيون) ، مواطن
إسرائيلي .. ستسافر بهذا الاسم ، وتعامل به ، طوال إقامتك
هناك ، وسيكون هو اسمك الكودى ، من الآن فصاعداً .
أجابه (عصام) فى روتينية :
— غُلم .

لم يبدأ كلمة إضافية ، حتى انتهت إجراءاتهما ، وصعدا
إلى الطائرة واتخذا مقعديهما ..
هنا فقط غمغم (ريمون) :
— أتعثم أن تكون مستعداً للاختبارات !
سأله (عصام) فى هدوء :

— أية اختبارات ؟

أجابه فى لهجة أقرب إلى الشماتة :

— اختبارات الثقة .

ابتسم (عصام) فى سُخرية ، وهو يقول :

— أما زلتم لا يتقون فى ياعزيزى (ريمون) ؟

أجابه (ريمون) فى حُشونة :

— الزعماء هناك لا يتقون بأحد ، ما لم يخبروه بأنفسهم .

تنهَّد (عصام) ، وقال :

— حسناً .. أنا مستعد لكل الاختبارات .

ابتسم (ريمون) فى شجاعة ، وهو يقول :

— أتعثم ذلك ، ففشلك فى الاختبارات ، سيغنى قلبك

هناك .

سرت قشغريزة خافتة فى قلب (عصام) ، إلا أنه أجاب فى

هدوء :

— فليكن .

أضاف (ريمون) فى حزم :

— وخاصةً ذلك الاختبار ، على جهاز كشف الكذب .
هبط قلب (عصام) بين قدميه ، عند هذه النقطة ، وتحيل
إليه أن مصرعه قد باث وشيكًا ، فانكمش في مقعده ،
واستسلم لمصيره ، والطائرة تنطلق به إلى الجحيم ..
إلى قلب (إسرائيل) ..

[انتهى الجزء الثاني ، يليه الجزء الثالث]

(قضية قلب الجحيم)